

قضايا في تطور العلوم الاجتماعية في العالم العربي  
ايليا زريق

Issues in the Development of the Social Sciences in the Arab World

Elia Zureik

zureike@queensu.ca

Professor Emeritus in Sociology

Queen's University, Canada

Paper Presented at the 7<sup>th</sup> Conference of the Social Sciences and Humanities

Doha, March 2019

## جدول المحتويات

2	..... خلاصة*
2	..... علم اجتماع المعرفة
8	..... إشكالية العلوم الاجتماعية المعاصرة
8	..... (1) العلاقة بين العلوم الاجتماعية والإنسانية
10	..... (2) النقاش حول المعرفة التاريخية
11	..... (3) نبذة عن جذور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في الغرب
13	..... (4) مقارنة المنهج الكمي والنوعي في الدراسات الاجتماعية للعالم العربي
16	..... (5) استطلاعات الرأي العام: دراسات كمية
18	..... (6) البحث الأثنوغرافي
19	..... (7) إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية في العالم العربي
19	..... -- تحليل مؤسسي
23	..... -- تحليل مهني
27	..... (8) إنتاج المعرفة في ظل الاستعمار، أنظمة المراقبة، والعامل الديمغرافي: صياغة المفاهيم
27	..... محاور دورية عمران للعلوم الاجتماعية
28	..... دراسة الحالة الأولى: الاستعمار وإنتاج المعرفة
29	..... دراسة الحالة الثانية: المراقبة في ظل الدولة العربية
31	..... دراسة الحالة الثالثة: العلاقة بين الديموغرافية والديموقراطية في العالم العربي
33	..... (9) الجندر وإنتاج المعرفة
37	..... (10) دور اللغة في التوثيق وجمع المعلومات عبر الفضاء الإلكتروني
38	..... (11) أخلاقيات البحث الاجتماعي
	..... أختامة

الغرض من هذه المقالة هو تقييم البحث المعاصر في العلوم الاجتماعية العربية، مع التركيز على القضايا المنهجية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. تقدم الورقة أولاً، توضيحاً حول استخدام علم اجتماع نهج المعرفة من خلال ثلاث دراسات حالة تاريخية تتناول تطور الفكر العلمي العربي-الإسلامي. ثانياً، تحلل المشاكل التي تواجهها العلوم الاجتماعية العربية المعاصرة والعلاقة بين العلوم الاجتماعية والإنسانية (بما في ذلك المعرفة التاريخية التي سوف نتناولها بشكل مختصر). ثالثاً، تتعامل مع العلاقة الإشكالية بين العلوم الاجتماعية الغربية والعربية. رابعاً، تقارن المنهجيات النوعية بالكمية. خامساً، تلخص بعض النقاط الرئيسية لدراسات كمية مقتبسة من استطلاعات الرأي العام. سادساً، تقدم البحث الاثنوغرافي. سابعاً، تناقش الجانب المؤسسي والمهني للأنشطة المتعلقة بأبحاث العلوم الاجتماعية في العالم العربي، مع الإشارة إلى بعض الثغرات في طرق تناولها. ثامناً، تقدم ثلاثة أمثلة امبريقية تتعلق في صياغة بعض المفاهيم. تاسعاً، تعالج الجندر وإنتاج المعرفة. عاشراً دور اللغة في التوثيق وجمع المعلومات عبر الفضاء الإلكتروني. الحادي عشر، تتناول الورقة اخلاقيات البحث الغربية في العلوم الاجتماعية بصورة عامة. أخيراً، نقدم تلخيصاً للنقاط الرئيسية الواردة في الدراسة.

## علم اجتماع المعرفة

يقول رشدي راشد، متخصص في تاريخ العلوم العربية-الإسلامية:

"يوماً ما، ونأمل أن يكون هذا اليوم في المستقبل القريب، سوف يكون هناك دراسة اجتماعية حول العلوم العربية تؤكد على دور المجتمع الإسلامي والمدينة في بروز ظاهرة تاريخية، وسنفهم بعد ذلك كيف أصبح من الممكن لمختلف التيارات العلمية الموروثة والمستقلة أن تندمج معاً وتنتشر، ولا سيما أن العلوم العربية هي العلوم التي تستحق أن تكون أول العلوم التي يُطلق عليها مصطلح "العالمية". وهذا هو الجانب الذي جاء ليميز وصف العلوم العربية في القرن التاسع عشر، والذي تم توضيحه والتأكيد عليه فيما بعد"<sup>1</sup>.

\* ايليا زريق استاذ فخري يقسم علم الاجتماع بجامعة كوينز بكندا. قام بتحرير المقال وهو باحث زائر في المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات. يشكر المؤلف الدكتورة إنعام شرف على ترجمتها للقسم الأكبر من هذه الورقة. وشكراً لمن حسن لتجميع بعض الاحصائيات الواردة في المقال وللزميل عبد حسين لاشرافه على الانتاج الفني للدراسة.

<sup>1</sup> Rashed, Roshdi, "Arabic Science and Renewing the Historiography of Science," *Contemporary Arab Affairs*, Vol. 5, No. 1, January-March 2012, Pp. 128-141; p. 133.

حسب قول علماء الاجتماع الجزائريات سهى حمزاوي وسامية كواشي:

"تعود الازمة الحالية لعلم الاجتماع الى تباين الاتجاهات النظرية والمنهجية في هذا العلم، حيث يؤكد المفكرون بهذا الصدد على ان البحوث والدراسات الاجتماعية تعاني من غياب الطرح السوسيولوجي الدقيق مما أدى الى ظهور ازمة انفصال الفكر والنظرية عن واقع وخصوصيات مجتمعات العالم العربي"<sup>1</sup>.

ازدواجية المقولتين أعلاه، ليست إلا تأكيداً لأهدافهما المختلفة. فالافتباس الأول يدعو إلى تطبيق التحليل الاجتماعي في فهم التطور التاريخي للعلوم العربية-الإسلامية<sup>2</sup>، والثاني يتناول مشكلة علم الاجتماع في العالم العربي معتمداً في ذلك كما سنشير لاحقاً وبشكل كبير على العلوم الاجتماعية الغربية. سوف يتم تناول المشكلة الثانية ودراستها لاحقاً في الورقة. أما الآن، فانتقل إلى الأسس الاجتماعية التي ساهمت تاريخياً بتشكيل العلوم بشكل بما في ذلك العلوم الاجتماعية العربية. وأوجز أدناه ثلاث دراسات حالة تاريخية للعلوم العربية-الإسلامية. وأستعين بهذه الحالات للتدليل على أهمية المنهجيات الكمية والتفسيرية التي تم نشرها في علم اجتماع المعرفة (sociology of knowledge). دراسة الحالة الأولى تتناول نمو وتراجع العلوم العربية-الإسلامية في الفترة ما بين القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر. والثانية تقارن تطور العلوم العربية-الإسلامية والغربية؛ وأما الثالثة، فتسلط الضوء على الإسهام الإيجابي للعلوم العربية-الإسلامية في عصر النهضة الغربية، والعمولة المبكرة للعلوم العربية-الإسلامية.

### دراسة الحالة الأولى

منذ أكثر من 80 عاماً، نشرت آيزيس (Isis)، مجلة التاريخ وفلسفة العلوم المرموقة، مقالاً كتبه اثنين من علماء الاجتماع المتميزين، بيتيريم سوروكين وروبرت ميرتون (Pitirim Sorokin and Robert Merton) بعنوان "مسار التطورات الفكرية العربية، 700-1300م: دراسة في المنهج"<sup>3</sup>. كان الهدف الرئيسي من هذه المقالة هو توظيف المنهجية الكمية لتتبع تطور العلوم العربية في الفترة ما بين 700-1300 م ، وأيضاً ما أُطلق عليه اسم الإنسانيات. كانت هذه الدراسة عبارة عن ممارسة في ما يسمى اليوم بعلم اجتماع

<sup>1</sup> سهى حمزاوي وساميه كواشي "إشكالات علم الاجتماع في العالم العربي" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 28 مارس 2017

<sup>2</sup> Arab-Islamic "science" covered both the natural sciences, including mathematics, and what we now call humanities. As we note in the next section, for sociologists, Sorokin and Merton, science covered mathematics, astronomy, astrology, physics, chemistry, botany, medicine, zoology and botany, and "humanistics" included philosophy, theology, historiography, sociology, law, psychology and philology. This definition is close to the current distinction between natural sciences, on the one hand, and social science and humanities, on the other.

<sup>3</sup> Sorokin, Pitirim A. and Merton, Robert K. "The Course of Arabian Intellectual Development, 700-1300 A.D.: A Study in Method," *Isis*, XXII, 1935, Pp. 516-524.

المعرفة، وهو حقل علم الاجتماع الذي استمر فيه ميرتون طوال القرن العشرين ليلعب بذلك دوراً رئيسياً في تشكيله.

ثم جاء بعده الإطار النظري الذي وضعه سوروكين في دراسة مكونة من أربعة مجلدات بعنوان *الديناميات الاجتماعية والثقافية*<sup>1</sup> التي يفترض المؤلف من خلالها العلاقة بين النواتج العلمية والإنسانية في مجتمع ما، والأنماط السائدة في توجهاته الثقافية. إطار سوروكين هذا يطلق عليه اسم التوجهات الثقافية الثلاث: الثقافة الحسية (sensate culture)، حيث التركيز على التجربة والحواس كما هو وارد في المنهج الوضعي، والثقافة الفكرية (ideational culture) حيث تهيمن الروحانية والدين، والثقافة المثالية (idealistic culture) المختلطة، والتي تجسد مزيجاً من النوعين السابقين. وباستخدام مقياس يعكس كثافة الإنتاج المعرفي على مدى 50 عاماً لكل مرحلة، خصص كلٌّ من سوروكين وميرتون قيمة بمقدار واحد، وهي الأقل على المقياس، لحساب عدد المؤلفين الذين عاشوا خلال فترة تاريخية محددة. رقم واحد مفاده ان الجرد يرتكز على ذكر الاسم فقط ولا يأخذ بعين الاعتبار إنجازات المؤلف. وقيمة بين واحد وثلاثة لحساب عدد الأفراد الذين قدموا مساهمة هامة في المعرفة، في حين تم تخصيص قيمة بين واحد وخمسة عشر لأولئك الذين عاشوا خلال العصر الذهبي الإسلامي واعتبروا من أعظم المفكرين في الإسلام.

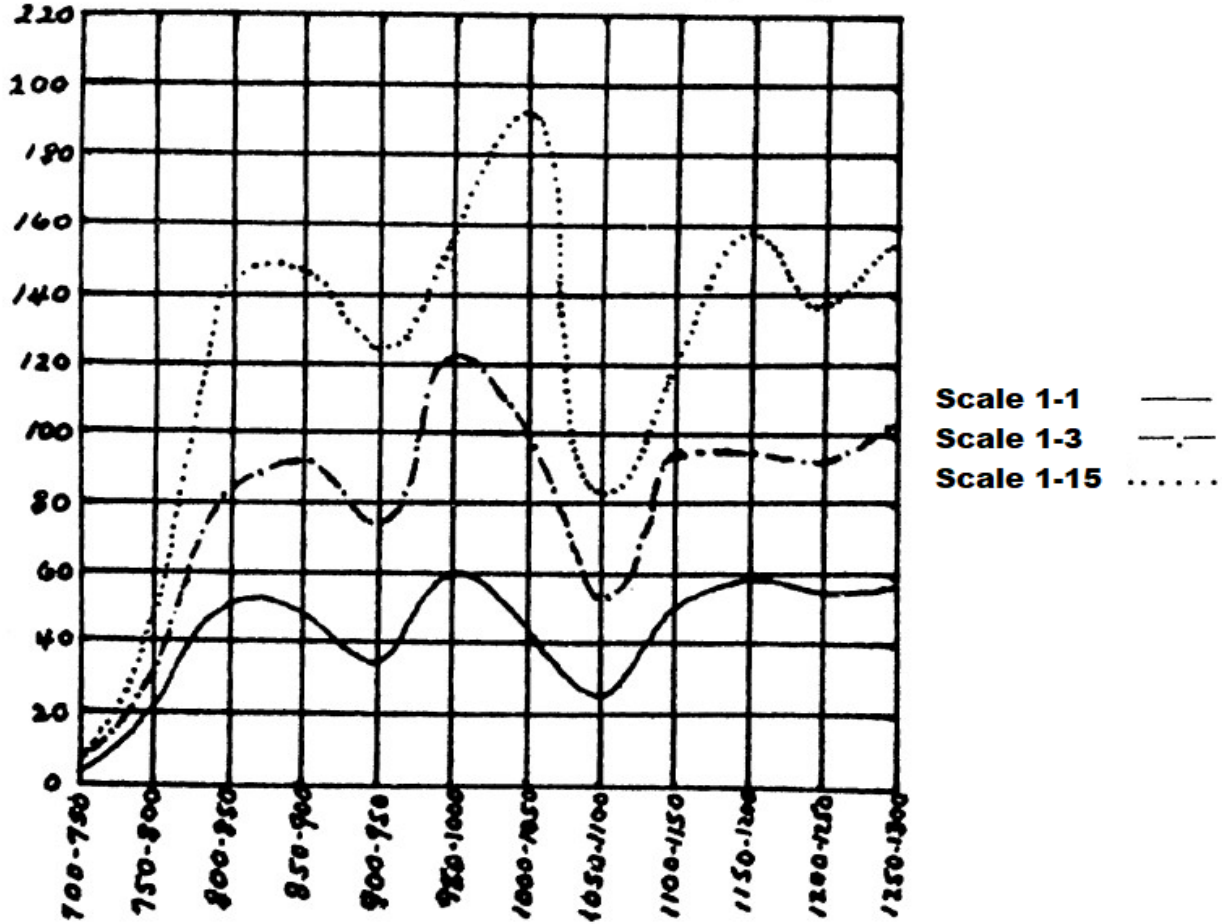
يلخص الرسم البياني الأول الإنجازات الفكرية العربية-الإسلامية خلال العصر الذهبي في الإسلام (من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر). وهنا يظهر التزامن من حيث الأعلى والأدنى درجة، من المستويات الثلاثة 1-1، 3-1، و1-15. وهكذا، وباستخدام درجة 1، تم تسجيل ما مجموعه 510 مساهمات خلال الفترة 700-1300 م، و950 مساهمة استناداً إلى المقياس من 3-1، و1470 استناداً إلى المقياس الثالث من 1-15.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها كلاً من سوروكين وميرتون (Sorokin and Merton) في سعيهما إلى وضع الأسس السوسيولوجية لإنتاج المعرفة، فإن تحليلهما أظهر عدم إدراكهما بما فيه الكفاية، للتطورات الخاصة التي حدثت في العالم العربي-الإسلامي في ذلك الوقت. كما لوحظ في دراسات الحالة الثالثة أدناه، أن امتداد التغيرات الاقتصادية والعالمية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وما بعد، تركت أثراً كبيراً على تطور العلوم العربية-الإسلامية. على كل حال من المهم الدراسة بالتفصيل العوامل المؤسسية (institutional) والهيكلي التنظيمي (organizational) لتفهم تاريخ تطور العلوم العربية-الإسلامية آنذاك.

<sup>1</sup> Sorokin, Pitirim A. *Social and Cultural Dynamics*, New York: The Book Company, 1937; see V. II, Pp. 7-9.

"مسار التطورات الفكرية العربية (في العلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، والفلسفة، والانسانيات)  
من 700-1300 م : دراسة في المنهج"

CHART I  
COMPARATIVE INTELLECTUAL DEVELOPMENT OF THE  
ARABIAN CIVILISATION, 700-1300 A. D.

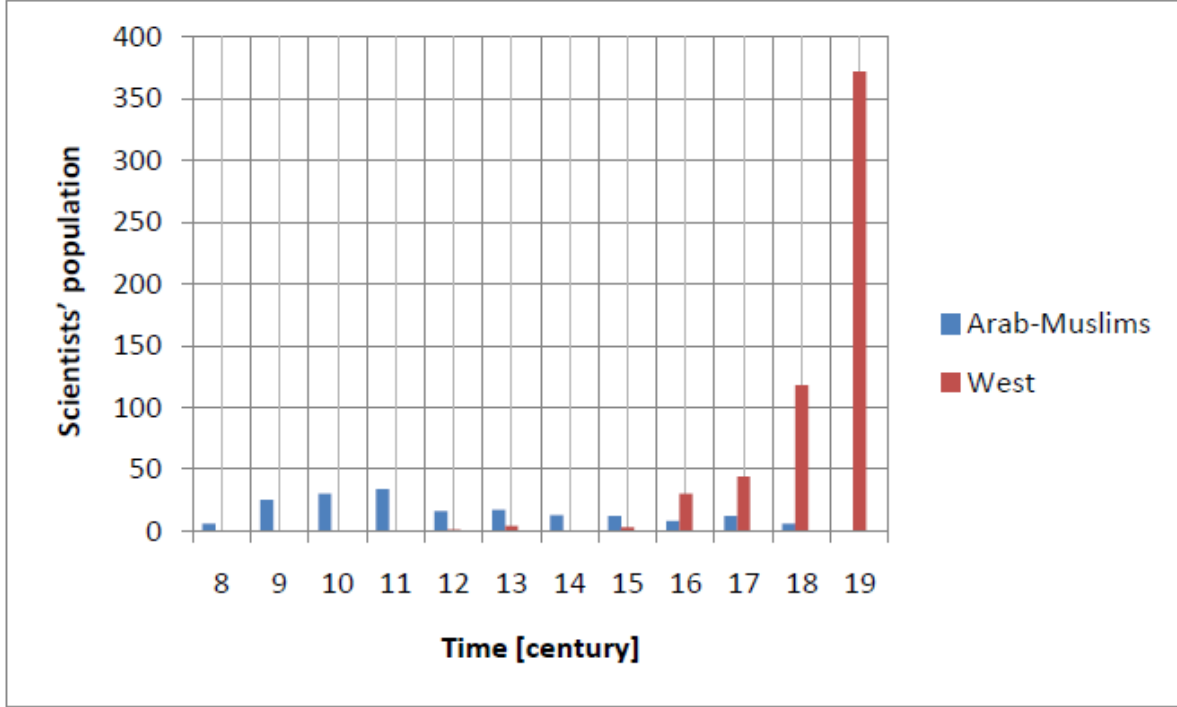


#### دراسة الحالة الثانية

قدم م.ي. ساندوك مقارنة إحصائية بين مجموعة من الشخصيات التاريخية من "كبار العلماء" العرب - المسلمون والغرب الذين عاشوا في الفترة الواقعة ما بين 700-1900 م، مع التركيز على علماء الرياضيات والهندسة والطب والفلك والكيمياء والبيولوجيا والفيزياء، وخص بالذكر 179 عالماً عربياً-مسلماً و572 عالماً غربياً.

## الرسم البياني الثاني<sup>1</sup>

توزيع كبار العلماء في الهندسة والطب والفلك والكيمياء والبيولوجيا والفيزياء.



يبين الرسم البياني الثاني على أنه، في الوقت الذي كان فيه العلماء العرب-المسلمون يحتلون المكانة الأعلى والا مثيل لها في سجلات العلم حتى القرن الخامس عشر، ومن ثم حتى القرن التاسع عشر، تمكن الغرب من تأكيد هيمنته وتعزيز هذا الموقف حتى يومنا هذا. وظلت أسباب تراجع العلم العربي-الإسلامي نقطة مركزية للنقاش بين مؤرخي العلم. يعطي ساندوك دوراً هاماً للدين في شرح أسباب تراجع العلوم العربية-الإسلامية. في ورقتي هذه، لا أعتزم تناول هذا النقاش، باستثناء العودة بإيجاز في دراسة الحالة الثالثة، إلى جورج صليبا، وهو مؤرخ للعلوم العربية-الإسلامية في جامعة كولومبيا والمؤرخ احمد دلال في الجامعة الأمريكية في بيروت، لتناول وباختصار أثر الدين والثقافة والاستعمار الغربي على تراجع العلوم العربية-الإسلامية.

<sup>1</sup> Sanduk, M. I. *Growth of Science under the Social Influence in Arabic-Islamic and Western Civilizations, 700-1900 (Statistical Models)*, 2009, available at [www.philsci-archive.pitt.edu/4766/1/Growth\\_of\\_science\\_2009.doc](http://www.philsci-archive.pitt.edu/4766/1/Growth_of_science_2009.doc) وت

## دراسة الحالة الثالثة

كتاب العلوم الإسلامية وصنع النهضة الأوروبية لجورج صليبا<sup>1</sup>، يقدم برهاناً قوياً حول الأسباب المحيطة التي أدت إلى تدهور العلوم الإسلامية. ويرفض صليبا الفكرة الشائعة التي تقول إن الدين والثقافة، بعد القرن الرابع عشر، كانا من العوامل الرئيسية التي ساهمت في هذا التراجع. ويقول بدلاً من ذلك، إن تراجع العلوم العربية-الإسلامية يرتبط بتراجع الازدهار المالي في الدولة العربية التي كان من تقاليدھا دعم الأنشطة العلمية وتسهيل الاختراعات، وأيضاً انحسار دور الشرق العربي-الإسلامي في التجارة، والصعود الحاسم للاستعمار الغربي.<sup>2</sup> ويظهر صليبا أن المساهمة العربية الإسلامية المبكرة في العلوم تجاوزت النسخ وترجمة المخطوطات العلمية اليونانية الكلاسيكية، كما يدعي مؤرخو العلوم. ويقول أن العرب أضافوا إلى هذه الترجمات ابتكارات علمية، كعلم الفلك والطب والرياضيات على سبيل المثال لا الحصر. وبدءاً من القرن الخامس عشر وصاعداً، كان للاستعمار الغربي تأثيراً دائماً على تراجع العلم في العالم العربي-الإسلامي. وأصبح هذا جلياً خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، إن لم يكن في وقت سابق.

فيما يتعلق بتدهور العلوم الإسلامية، يتفق المؤرخ أحمد دلّال مع التفسير المذكور أعلاه، ويرفض ما يطلق عليه بالتفسيرات الأساسية (**essentialized explanations**) المنبثقة من الثقافة والدين. من وجهة نظره، شهدت العلوم الإسلامية عدة عوامل تاريخية تتعلق بالتوسع الأوروبي واستعمارها للشرق الأوسط والذي ساهم في نهاية المطاف حسب قوله في بسط هيمنة العلوم الغربية:

ومع ذلك، ما هو جلي، هو أن تراجع العلوم والتكنولوجيا [الإسلامية] يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية، التي تأسست وترسخت دعائمها في ظل الاستعمار. وكان من المفترض أن يكون التراجع في الإنتاج العلمي والتكنولوجي في العالم الإسلامي مؤقتاً، لكنه تضاعف بسبب النمو السريع للعلوم الأوروبية التي تتغذى بدورها من الرأسمالية الناشئة والتوسع في التكنولوجيا القوية.<sup>3</sup>

ويشير رشدي راشد في حديثه عن التحضر ودور اللغة العربية في إنتاج المعرفة العلمية إلى أن الأبحاث التي أجريت في القرن التاسع عشر أكدت ظاهرة غير مستكشفة حتى الآن، وهي أن العلماء العرب كانوا يسافرون بانتظام ويتبادلون الأفكار مع علماء آخرين في شتى أنحاء العالم إلى حد أن اللغة العربية أصبحت اللغة المشتركة (*lingua franca*) للعلوم والتي أجبرت علماء آخرين من غير العرب على تعلمها.

<sup>1</sup> Saliba, George *Islamic Science and the Making of European Renaissance*, Cambridge MAS.: MIT Press, 2007

<sup>2</sup> Saliba, George, A lecture on the decline of Islamic science delivered in Doha, Qatar at the Eighteenth Conference of the Islamic World Academy of Science, 22-24 October 2011, available on YouTube <http://www.1001inventions.com/media/video/saliba>.

<sup>3</sup> Dallal, Ahmad, *Islam, Science and the Challenge of History*, New Haven and London: Yale University Press, 2010, Pp. 126.



الواضح من هذه المقدمة الموجزة أن هناك حاجة إلى إعادة فرز العوامل المختلفة، سواء كانت داخلية أو خارجية، التي تسببت بإعاقة النشاط العلمي في العالم العربي. سنوضح في قسم لاحق من الورقة، عندما نركز على إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية، كيف أن الأبحاث الحالية عزت ببطء التقدم في الإنتاج المعرفي في الشرق الأوسط العربي إلى الثقافة السياسية المحلية، السياسات الحكومية والمؤسسات الأكاديمية / التخصصات ومراكز البحوث، وهيمنة المؤسسات الغربية العالمية على تمويل ونشر المعرفة وكذلك هيمنة اللغة الإنجليزية بصفتها اللغة المفضلة في الخطاب العلمي.

## إشكالية العلوم الاجتماعية المعاصرة

### مقدمة

وفقاً لمقالة صدرت مؤخراً عن اثنين من علماء الاجتماع الجزائريين<sup>1</sup>، فإن تطور علم الاجتماع العربي يعاني من ما لا يقل عن ثماني مشكلات رئيسية، ومعظمها مألوف للباحثين في هذا المجال. إن الانتقاد الرئيسي لعلم الاجتماع العربي يكمن في انفصال العلوم الاجتماعية العربية عموماً عن سياقات الشعوب الأصلية التي تعكس التجارب التاريخية والحاضرة للشعوب العربية. ويؤكد معظم المعلقين أن علم الاجتماع العربي يقتصر وينسخ من الغرب؛ وبأنه غالباً ما يتجاهل حقيقة أن علم الاجتماع الغربي يعكس في المقام الأول، التطورات الأوروبية في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية. كما أن المجتمعات في القرن التاسع عشر والعشرون والتي عاش خلالها الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع الغربي، من أوغست كومت (Auguste Comte) وكارل ماركس (Karl Marx) إلى إميل دوركهايم (Emile Durkheim) وماكس وبر (Max Weber)، كانوا متأثرين بالخلفية الصناعية والفلسفية للتجربة الأوروبية.

وسوف نتابع بنقاش موجز حول (1) العلاقة بين العلوم الاجتماعية والإنسانية (2) النقاش حول المعرفة التاريخية (3) نبذة عن جذور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في الغرب (4) مقارنة المنهج الكمي والنوعي في الدراسات الاجتماعية للعالم العربي (5) إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية في العالم العربي و(6) أخلاقيات البحث.

### (1) العلاقة بين العلوم الاجتماعية والإنسانية

للعلم الإنساني تاريخ عريق يستمد إحياءه من الفلسفة اليونانية القديمة، ومن بعدها الفلسفة الإسلامية ثم عصر التنوير. هدف العلوم الإنسانية هو التوصل إلى تقييم يتسم بالحكمة، والمقصود

<sup>1</sup> سهى حمزاوي وساميه كواشي "إشكالات علم الاجتماع في العالم العربي" مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 28 مارس، 2017

بالحكمة أن على الباحث أن يكون على مستوى فهم عميق وذا تفكير تأملي وانعكاسي (reflexive thought) مما يؤهله للمساهمة في بناء مجتمعه المدني ومعالجة ما يسمى بالأسئلة الكبرى (big questions) التي تواجهها الإنسانية.

بيد أنه، و ابتداءً من القرن التاسع عشر، يسجل بروز المنهجية الوضعية و سطوة العلوم الطبيعية، تأثيراً بالغاً على تطور العلوم الاجتماعية واستخدام تحليلات كمية تقوم على تقنية الإحصاء وعوامل الارتباط (correlation coefficients) والتنبؤ.

لعب تطور العلوم الاجتماعية في كل من السيسولوجيا والاقتصاد والسياسة خلال النصف الثاني من القرن 20 دوراً هاماً في التوجه نحو الاستعانة بالعلوم الاجتماعية في صنع القرارات والسياسات، أما العلوم الإنسانية فإنها تعتمد على مواضيع الفلسفة واللغات والتاريخ والآداب في تتبع منهجية تفسيرية نقدية واثنوجرافية وسمائية (semiotics) آخذةً بعين الاعتبار ما يسمى بالسلوك العادي واليومي للفرد (everyday experience). كما نشير في تعليق لاحق بقي تأثير العلوم الانسانية في المجال السياسي والنقاش العام هامشي.

وقد أدى هذا التمييز المنهجي إلى هيمنة العلوم الاجتماعية على الإنسانية، وهو أمر ليس حتمياً وإنما يمكن معالجته، كما يظهر ذلك في الأدبيات الحديثة من خلال منطلق تحليلي شامل يوفق إلى حد ما بين الإثنين. ولعل أهم التطورات في هذا المجال هو انتشار ما يسمى بمنهجية ما بعد الحداثة (postmodernism).

يتجسد الفصل ما بين الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في تباين السبل بينهما للوصول إلى المعرفة وفهم الوضع الإنساني. فتركز الجهود في العلوم الاجتماعية على فهم واستكشاف العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية، وذلك من خلال تبني منهج وضعي- تفسيري، وهو نهج تجريبي مستنبط من العلوم الطبيعية. يمكن التمييز في العلوم الاجتماعية بين ثلاث تصورات للفرد: الإنسان الاجتماعي (homo sociologous) والإنسان الاقتصادي (homo economicous) والإنسان السياسي (homo politicous).

وقد توج البحث في التصورات الثلاثة بولادة الاختصاصات الرئيسية في العلوم الاجتماعية: علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية. في المقابل تتميز الإنسانيات، وهي تشمل التاريخ، والآداب، وتحليل الخطاب-البلاغة (discourse analysis) والأنثروبولوجيا الثقافية، والفلسفة، واللسانيات والفنون الجميلة، بمقاربات نظرية مبنية على التأويل والنظرية النقدية ودراسة وفحص النصوص ونقدها.

لا يسعى البحث الكامل للتركيز على الإسهام الأوروبي في المعرفة الإنسانية والاجتماعية فحسب، بل يأخذ بعين الاعتبار إسهامات أخرى بما فيها الإسهام العربي في أفق تمكين الباحثين من الوقوف على المساهمة الشمولية وتنسيب الهيمنة الغربية في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

التوتر القائم بين الإنسانيات والعلوم الاجتماعية خلال فترة تشكيل العلوم الاجتماعية والإنسانيات في أوروبا إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت العلوم الطبيعية قدوة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، حيث اعتمدت هذه الأخيرة نفس المقاربات المنهجية. ولعل ذلك هو ما يفسر الإلحاح على المناهج الكمية في التوصل إلى المعرفة، وهو ما أدى تدريجياً إلى تبني العلوم الاجتماعية مقاربةً طبيعية- "علموية" (global) للإنسان. وقد تم وصف هذا التحول من قبل أحد الدارسين بأنه تم على حساب الإنسانية. ويثير أنطوان مسرة الإشكالية هذه في فهم جدوى الإنسانيات وقدرتها على مواكبة التحول نحو المنهج الطبيعي-التجريبي في العالم الأكاديمي عموماً وذلك حين يسأل: "هل العلوم التي يطلق عليها علوماً إنسانية، والتي تلقنها كبريات الجامعات في العالم، هي فعلاً إنسانية؟ ثمة مجموعة عوامل تؤثر سلباً في إنسانية العلوم الإنسانية: المنحى الأكاديمي السائد، والثقة العارمة بدقة علوم الطبيعة وفعاليتها، والتوجه نحو حصر العلوم الإنسانية في منهجيات كمية، وبيروقراطية البحث، وتراجع تدريس الإنسانيات في التعليم ما قبل الجامعي مع طغيان الفروع العلمية."<sup>1</sup>

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، استعادت العلوم الاجتماعية إلى حد ما الاهتمام بالمركزية الإنسانية التي لا تنضبط مع النموذج المنهجي للعلوم الطبيعية، فأعيد الاعتبار للمعنى-القيمة والتفكير النقدي الفعّال، والإصرار البشري كعوامل مؤثرة على صيرورة وتطور المجتمعات الإنسانية، وقد كان أثر إعادة الاعتبار هذا واضحاً على علم الاجتماع والعلوم السياسية والأنثروبولوجيا وإلى حد ما الاقتصاد.

## (2) النقاش حول المعرفة التاريخية

يصنف علم التاريخ ضمن الإنسانيات، وهو التخصص الذي يناط بحفظ الذاكرة، والذاكرة الجماعية تحديداً. على حد ما يقوله أحمد سعدى وليلى أبو لغد «الذاكرة هي من الأسلحة القليلة المتبقية لمن سار موج التاريخ ضده»<sup>2</sup>

هذا لأن التاريخ في الغالب هو "تاريخ المنتصرين"، كما يتباهى تشرشل، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن "من يكتب التاريخ فعلاً؟". حين انتشرت أدوات التواصل (social media) والأرشفة العلمية، استطاع الكثيرون

<sup>1</sup> أنطوان نصرى مسرة "كيف تكون العلوم الاجتماعية ... إنسانية؟ مفاعيل البعد الانساني في الاندماج الاجتماعي وفاعلية البحث الاجتماعي": بحوث المؤتمر الذي نظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات؛ جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في العالم العربي. الدوحة 2014، صفحة 39-48.

Msarrah, Antoine, "How can the Social Sciences become Human? The Factors that Contribute to the Human Dimension of Social Integration and the Effectiveness of Social Research," pp. 39-48, *The Dialectics of Social Integration and the Building of State and Nation in the Arab World*, proceedings of a conference organized by the Arab Centre for Research and Policy Studies in Doha, 2014 [Arabic].

<sup>2</sup> Sa'di, Ahmad H. and Lila Abu-Lughod (2007), *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*, New York: Columbia University Press.

أن يكتبوا التاريخ من "الأسفل"، أي أن كتابة التاريخ بدأت تأخذ بعين الاعتبار تصورات "المنهزم" أو "المحكوم" مثل ما كتبه الحاكمون والمنتصرون سابقاً، وعندئذ، بات من الممكن أن يكتب المغلوب على أمرهم التاريخ. وخلافاً للنظرة السائدة للتاريخ، التي تقتضي قراءة سطحية فوقية لتسلسل الأحداث عبر الأزمنة والأماكن، ركز مفكرون من أمثال ميشيل فوكو (Michel Foucault) على الانقطاع التاريخي وشددوا على التغييرات المفصلية الدقيقة التي ميزت القرن الثامن عشر مع إدخال الإصلاحات التنظيمية لسلك التعليمي والمستشفيات والنظام الضريبي. وقد أبرز فوكو بأن كافة الإصلاحات هذه قد هدفت جميعاً لأن «تهذب» (discipline) المجتمعات الخاضعة من خلال إجبار أفراد المجتمع على التصرف بسلوكيات تسمح بالتسلط عليها. ورغم أن فوكو لم يتناول في دراساته المجتمعات الخاضعة للاستعمار، فهناك الكثير من الأمثلة عن باحثين استطاعوا أن يطبقوا منهجيات فوكو في بلدان خضعت للاستعمار، ولعل أشهر هؤلاء تموثي ميتشل (Timothy Mitchell) الذي نشر كتاباً صغيراً بعنوان "استعمار مصر"<sup>1</sup> والذي ساهم في رفع مستوى فهم العالم لطريقة استحواذ الإمبراطورية البريطانية على أجزاء واسعة من العالم، وأظهر كيف تمكنت الإمبراطورية تلك من التحكم بالمجالات الخاضعة لها. وقد استفاد التأريخ المتأخر من الروايات والسرديات المعاكسة، أي التي نسجت من قبل المهمشين في التاريخ، ويقدم تأريخ القضية الفلسطينية مثلاً واضحاً على ذلك: التاريخ الفلسطيني حافل بالمصادر الشفوية والروايات المأخوذة من الذاكرة الجماعية التي قد تساهم في دحض الفهم الغربي والإسرائيلي السائد حول ما حصل لفلسطين.<sup>2</sup>

### (3) نبذة عن جذور علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في الغرب

أقدم تلخيصات بصورة عامة لتطور العلوم الاجتماعية (السياسيولوجيا) والأنثروبولوجيا في العالم الغربي والعلوم الاجتماعية في العالم العربي وأوضح أن هناك جذور إجتماعية تحكم تطور الإنتاج المعرفي في هذه الحالات وما قبلها بالثورة الفرنسية، فهذا الحراك الاجتماعي كان له أثراً على بروز شخصيات شبه تكنوقراطية (technocrats) التي نذكر فيها اسم سينث سيمون (Saint Simon) و أوغست كومت (August Comte) الذي أطلق على السياسيولوجيا لقب "ملكة العلوم"، والمرجعية لهذا اللقب هو أن السياسيولوجيا هي دراسة شاملة للمجتمع تمس الجانب الاقتصادي، والسياسي والعلاقات بين الأفراد والجماعات.

<sup>1</sup> Mitchell, Timothy, *Colonizing Egypt*, Cairo: American University of Cairo Press, 1988.

<sup>2</sup> Zureik, Elia (2001) "Constructing Palestine through Surveillance Practices," *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 28, No. 2, Pp. 205-227.

ثانياً - القرن التاسع عشر تبنى إلى حد كبير في أوروبا نموذج الدراسات الطبيعية بما فيها استخدام الرياضيات والأدوات الكمية كالأحصاء في تفهم الميدان الاجتماعي. ومن الأسماء التي لمعت في تلك الفترة نذكر الإنجليزيين Karl Pearson و Frances Galton ومن المستحق الذكر أن كليهما نشطا في تأسيس ما يسمى بـ الـ eugenics - حملة تحسين النسل.

ثالثاً - أدت هذه التطورات إلى تأسيس المنهجية الوضعية كركن لكل العلوم الاجتماعية وسمعنا ما قاله انطوان سمره في هذا السياق.

لازال حتى الآن تنافس بين ما يسمى العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، لكن حدة هذا التنافس قد تقلصت، خصوصاً مع انتشار مدرسة " ما بعد الحداثة" (postmodernism).

أريد الآن أن أنتقل إلى الأنثروبولوجيا التي تعتبر من أقدم العلوم الإنسانية التطبيقية:

لعبت الأنثروبولوجيا دوراً هاماً في تقديم دراسات وتحليلات متعلقة بالمناطق النائية والمجتمعات البدائية، وركزت الأنثروبولوجيا في عقودها الأولى على تثبيت هرم بشري تسلسلي بالنسبة للمقدرة والذكاء والموهبة. واحتل الرجل الأبيض المكان الأعلى في هذا الهرم ووضع في أسفله الرجل الأسود والسكان الأصليين (indigenous people) الذين عرفوا بنقصان شخصي وذهني، وفي أواخر القرن التاسع عشر برزت مجموعه من الأنثروبولوجيين الذين اعترضوا على وجود هرم كهذا وبغض النظر عن الفوارق البيولوجية بين البشر، أكد هؤلاء العلماء بأن البشر تسلسلوا من نفس المصدر البيولوجي وأخذ النقاش طابعاً سياسياً عندما تدخلت لجنة حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم ودعت لجنة خبراء لكي يبحثوا بالموضوع وقرروا أن البشرية نبعت من مصدر واحد وأن أي ادعاء آخر يعتبر سنداً للعنصرية .

أحد الفوارق بين الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا يعود إلى دور الأنثروبولوجيا في دراسة المجتمعات البدائية وغير المتطورة في القرن السابع عشر وما بعد.

الفرضية الأساسية التي تبناها الأنثروبولوجيون هو وجود توازن (equilibrium) بين المؤسسات الاجتماعية الذي يضمن التناسق بين المؤسسات والاستقرار في المجتمع ككل، هذا ما يسمى «بالهيكلية الوظيفية» (structural functionalism) ونراها في السوسيولوجيا. المشكلة الرئيسية في هذا السياق هو أن الاختبارات الجديدة التي أجريت في بنية المؤسسات الاجتماعية تعتبر خرقاً وشذوذاً عن النمط الاعتيادي. فمثلاً أي تغيير يستحدث في توزيع أدوار أفراد العائلة، أو تغيير في النظام التعليمي والسياسي السائد يوصف بأنه شذوذ اجتماعي.

إضافة إلى إدخال عامل العنصر والعرق في الجدال الأكاديمي، ساهمت الأنثروبولوجيا بصورة خاصة إلى إبراز العرق كمؤشر أساسي لتعريف البشر من ناحية كفاءاتهم وعلى مستوى حضاري .

ومع أن هذا الجدل لم يحتل المكان الرئيسي في العلوم الإنسانية بقي له تأثير ملحوظ على المستوى السياسي والمستوى الفكري العام. الظاهرة المهمة التي تميز الأنثروبولوجيا هو أنها ترعرعت في ظل الاستعمار واعتباراً من القرن الثامن عشر وما بعد ساهمت في خدمتها للكولونيالية والاستعمار عند التوسع الأوروبي في العالم الثالث<sup>1</sup>. حرص أبرز علماء الأنثروبولوجيا على خدمة سياسات دولهم المستعمرة كإيطاليا، فرنسا، ألمانيا وبريطانيا، وغيرهم لغرض تأمين الوجود الأوروبي في المجتمعات البدائية. واستثناء أمريكا الشمالية من هذه التطورات لم يكن قطعياً حيث أن علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين ساهموا مباشرة في السيطرة الفدرالية على الهنود الحمر والسود وفي توسعهم الاستعماري ابتداء من القرن التاسع عشر (انظر الرسم البياني رقم III)

#### (4) مقارنة المنهج الكمي والنوعي في الدراسات الاجتماعية للعالم العربي

على الرغم من الشعبية الأخيرة التي نالتها الدراسات النوعية في العلوم الاجتماعية في الغرب، إلا إنها لظالما احتلت مكانةً في علم الاجتماع، بما في ذلك علم الاجتماع العربي. وذكرونا عالم الاجتماع الأمريكي هوارد بكر<sup>2</sup> (Howard Becker) بأن الدراسات النوعية قد ظهرت لأول مرة في الولايات المتحدة منذ أكثر من ستة عقود. بإمكان علم الاجتماع العربي أن يفخر بتقاليد غنية في العلوم الاجتماعية النوعية، كعمل عالم الاجتماع العراقي "علي الوردي" على سبيل المثال. وقد سار علي الوردي<sup>3</sup> على خطى المفكر العربي ابن خلدون في القرن الرابع عشر، واستكشف التفاعل بين الحضري والرُّحلي، وتأثيرهما على تنمية الشخصية الفردية والحياة المجتمعية في العراق. وكما يشير محمد باميه ركز الوردي على استخدام "منهجية الحوار التي هي اقرب الى تقاليد المجتمع العربي التقليدي" بدلا من الاعتماد على منهجية المقابلات والمسوحات الميدانية"<sup>4</sup>.

وبالمثل، هناك دراسات قيمة حول الحياة الريفية من قبل عالم الأنثروبولوجيا المصري حامد عمار<sup>5</sup> الذي قام بتحليل القيم والشخصية في الريف المصري. وإلى وقت ليس ببعيد، كانت الدراسات المجتمعية النوعية في الهلال الخصيب ومصر وشمال أفريقيا تشكل الجزء الأكبر من ما ورد في العلوم الاجتماعية

<sup>1</sup> See Asad, Talal, *Anthropology and the Colonial Encounter*, London: Ithaca Press, 1973.

<sup>2</sup> Becker, H. S., "The Epistemology of Qualitative Research," in Jessor, R., Colby, A., and Schweder, R. A. (eds.), *Ethnography and Human Development. Context and Meaning in Social Inquiry*, Chicago and London, University of Chicago Press, 1996, Pp. 53-72.

<sup>3</sup> Al-Wardi, 'Ali. (1965) *Dirasah fi tabi'at a-mujtama' al-Iraqi* [Study of the Social Conditions of Iraqi Society, in Arabic]. انظر أيضا حميد الهاشمي "على الوردي والتأصيل الخلدوني لعلم الاجتماع في الوطن العربي" إضافات: صفحته 29-48. العدد 19، 2012

<sup>4</sup> Bamyeh, Mohammed (2015) *Social Sciences in the Arab World: Forms of Presence*, Beirut, Lebanon: The Arab Council for Social Sciences., available at <http://www.theacss.org/uploads/English-ASSR-2016 p. 10>.

<sup>5</sup> 'Ammar, H. (1954) *Growing Up in an Egyptian Village*, London, Routledge and Kegan Paul.

العربية.<sup>1</sup> في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، تم إدخال العلوم الاجتماعية التطبيقية، التي تشمل جمع الإحصاءات الاجتماعية، إلى العالم العربي كجزء من المتطلبات الإدارية للاستعمار الغربي الذي كان يحتل المنطقة. وبعد الاستقلال السياسي في النصف الأول من القرن الماضي، توسع علماء الشعوب المحليه والنخبة الحاكمه في استخدام تقنيات البحوث التطبيقية لتلبية الاحتياجات البيروقراطية والتعليمية في الدول الوليدة. لكن هذا لم يحدث حتى عام 1960 عندما بدأ علماء الاجتماع العرب المتعلمين الغربيين في تجربة المنهجيات الوضعيه بطريقة مستدامة وإجراء بحوث المسح للكشف عن المواقف العامة والتوجهات المتعلقة بالشؤون الراهنة ومسائل السياسة العامة. وعلى الرغم من أن ذلك تزامن مع فترة كانت فيها المدرسة الوضعيه (positivism) تتعرض للهجوم في الدراسات الغربية، إلا أن إجراء بحوث المسح الكمي في العالم العربي استمر إلى حد كبير دون إيلاء اهتمام كافٍ للمشاكل التي أثارها هذا النهج. وهنا برزت مجموعتان مختلفتان من المشكلات، الأولى خاصة بمناطق العالم الثالث؛ والثانية، أخذت أكثر الطابع النظري في طبيعتها وهي تركز على الجدل الاستمولوجي المتعلق بالادعاءات الموضوعية والمعرفية. وفيما يتعلق بما تم طرحه سابقاً، هناك ثلاث مشكلات شبيهة وجديرة بالذكر، أولاً، النظر في معنى "الجمهور" في سياق العالم النامي - أو حتى العالم المتقدم إلى حد ما، فيما يتعلق بهذه المسألة. إن الفكرة القائلة بأن هناك جمهور قابل لإجراء البحوث المسحية عليه، يشكل بحد ذاته إشكالية في المجتمع العربي. إن الإجابة على أسئلة أي مقابلة، تفترض أن يكون هناك قدر من الثقة والسرية بين السائل والمسئول، وأن تكون آراء الفرد الذي يتم سؤاله، تتعلق قدر الإمكان بالحياة العامة. وفي المجتمعات التي لم ولا يشعر فيها الجمهور، إلى حد كبير، بأن ليس له أي تأثير على مجرى الأحداث، فإن المواطنين مع الأسف لا يرون أي فائدة من استكشاف آرائهم. وعلاوةً على ذلك، وبسبب الافتقار إلى الثقة بين المسؤولين والجمهور بوجه عام، هناك اتجاه سائد بين هذا الأخير يدعو إلى التشكيك في الذين يسعون بشكل فردي للحصول على معلومات أولية وذلك خوفاً من أن هذه المعلومات قد تعرضهم للخطر.<sup>2</sup> وعلى حد سواء، يشكك المسؤولون في البيانات التي يتم جمعها على نطاق واسع خشية أن تكشف هذه البيانات عن معلومات حساسة تشكل تهديداً لشرعية النظام.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> Lutfiyya, A. and Churchill, C. (eds.) (1970) *Readings in Arab Middle Eastern Societies and Cultures*, The Hague, Mouton and Co.

<sup>2</sup> Tamari, S. (1994) 'Problems of Social Science Research in Palestine: An Overview', *Current Sociology*, Vol. 42, No.2, pp. 67-86.

<sup>3</sup> Suleiman, M. (1987) 'Challenges and Rewards of Survey Research in the Arab World: Problems of Sensitivity in a Study of Political Socialization', in Tessler, M., Palmer, M., Farah, T., and Ibrahim, B. (eds.), *The Evaluation and Application of Survey Research in the Arab World*, Boulder and London, Westview Press, pp. 57-65.

ثانياً، مشكلة البحث الاستقصائي واسع النطاق في مناطق العالم الثالث تتعلق عموماً بنزاهة وتمثيل العالم الإحصائي الذي يتم منه اختيار ما يسمى "بالجمهور". وفي غياب البيانات العددية الموثوقة وعدم الوصول الحر إلى هذه المعلومات من أجل التحقق من العينات الموثوق بها ومن وضعها، فإنه يصعب الشعور بالثقة بالنتائج التي تستند إلى البحوث الكمية وحدها. ثالثاً، جمع بيانات الرأي العام والبحوث الاستقصائية هو في الأساس مؤسسة فردية راسية في منهجية فردية. ويطلب من الناس التعبير عن آرائهم بشكل فردي. وفي مجتمع تكون فيه القيم الجماعية متجذرة بعمق ويكون الكل فيه، إذا اردنا توظيف استعارة جيستالت (Gestalt)، يفوق أجزاءه الفردية، فإنه من الصعب استخدام الاستجابات الفردية المجمعاً إحصائياً لرسم صورة جماعية<sup>1</sup>. هذا جزء مما اعتبره س. رايت ميلز<sup>2</sup> (C. Wright Mills) في دراسته النقدية حول المدرسة التجريدية التطبيقية (abstracted empiricism) في العلوم الاجتماعية الغربية - والتي كان يعني من خلالها إجراء البحوث الكمية دون إيلاء الاهتمام الكاف بالسياق التاريخي وبالطبيعة الاجتماعية التي يمتاز بها الإنسان.

وأحد الطرق لتصحيح هذه المشكلات هو إضفاء طابع السياق على مشكلة البحث المعنية، واستكمال البحوث الاستقصائية بالمقابلات المتعمقة، وجمع، في حال كان ذلك ممكناً، البيانات الكمية مع البيانات النوعية والإثنوغرافية من خلال دمج الأدلة الرمزية والثقافية في البيانات التي تم جمعها (انظر<sup>3</sup> Tamari, Giddens,<sup>4</sup> وبعبارة عالم الاجتماع المصري سعد الدين إبراهيم:

ومن بدائل [النهج القائم على الغرب] أن تأخذ المجموعة بوصفها وحدة التحليل في البحوث الاستقصائية، لأن الفرد في المجتمعات التقليدية أو الحديثة قد لا يشكل وحدة صنع القرار. وربما لا يجوز للفرد أن يبادر في العمل. ولا يجوز له أو لها أن يكونا أحراراً. وفي هذا الصدد، فإن الفرق بين المجتمعات الغربية والعربية هو متساو في الدرجة أكثر منه في النوع، ولكن من الرائع بما فيه الكفاية، التشكيك في الافتراض القائم على أن الفرد يشكل دائماً الوحدة الأنسب للتحليل. ويجب النظر في البدائل، مثل استخدام شبكة اجتماعية أو نوع آخر من المجموعات.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> Ibrahim, S. (1987) 'The Agony and Ecstasy of Survey Research in the Arab World', in Tessler, M., Palmer, M., Farah, T., and Ibrahim, B. (eds.), *The Evaluation and Application of Survey Research in the Arab World*, Boulder and London, Westview Press, pp. 27-34.

<sup>2</sup> Mills, Wright C. *The Sociological Imagination*, Oxford: Oxford University Press, 1999.

<sup>3</sup> Tamari, ibid.

<sup>4</sup> Giddens, Anthony (1984), *The Constitution of Society: Outline of the Theory of Structuration*, Berkeley and Los Angeles: University of California Press.

<sup>5</sup> انظر مصدر رقم 3 صفحة 11



## (5) استطلاعات الرأي العام: دراسات كمية

كان الحافز الرئيسي لإجراء دراسات استقصائية على نطاق واسع للرأي العام في الشرق الأوسط هو أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001، والتي برز فيها الشرق الأوسط والعالم العربي على وجه الخصوص، بشكل جلي. هذا لا يعني أن الاهتمام بالشرق الأوسط كان غائباً تماماً عن مثل هذه الدراسات، فعلى سبيل المثال، نشطت غالوب (Gallup) في إعداد تقارير عن دراسات عرضية تتناول الرأي العام في الشرق الأوسط وحوله. كذلك جامعة ميتشيغان من خلال استطلاعاتها حول القيم العالمية (World Values Survey)، وجامعة ميريلاند، ومركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) وجهات أخرى كثيرة<sup>1</sup>. ثانياً، كانت المفاوضات التي رعتها أوسلو بين إسرائيل والفلسطينيين والتي بدأت في العام 1991 قد دفعت إلى إجراء مسوحات داخل المنطقة وخارجها، وقد شهدت الضفة الغربية على سبيل المثال، إنشاء المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية. كما يوجد في أوروبا وأستراليا مراكز أبحاث مماثلة. ثالثاً، شكل الربيع العربي في العام 2011 عاملاً آخر وراء الاهتمام بالمسح الإقليمي. كما أن قياس الرأي العام العربي شهد تطوره من خلال اتحاد (consortium) الجامعات ومراكز الأبحاث الأمريكية. رابعاً، يعد المؤشر العربي الذي طوره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، قطر، واحداً من أكثر الجهود المنهجية في قياس الرأي العام العربي، وذلك من خلال مقابلات شخصية مع عينات تمثيلية إحصائية في سبع دول عربية تجرى سنوياً منذ عام 2011. ويركز المؤشر على قضايا مهمة اليوم مثل الربيع العربي، صعود الدولة الإسلامية، الدعم العربي للديمقراطية ووصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض ومحاولات تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل، تأثير الدين على المواقف العربية، المواقف تجاه تركيا، الحرب في سوريا، الاتفاق النووي الإيراني والصراع العربي الإسرائيلي.

تنعكس رؤية المؤشر من خلال توظيف نتائجه واستخدامها من قبل الأكاديميين ومدى الاعتراف بهذه النتائج من قبل السياسيين، كذلك التقارير التي تصدر عنه في وسائل الاعلام. وفي كتابه *داخل الدولة العربية* (2018)، استفاد مهران كامرافا (Mehran Kamrava) من نتائج مؤشر الرأي العربي ووظفها فيه، كما أن عزمي بشارة نشر نتائج مؤشر الرأي العربي في واحد من أهم أعماله الصادرة عام 2018، *الطائفة، الطائفة*، *والطوائف المتخيلة*. وأيضاً ليونيد غريفين، أندريه كوروتاييف وأرنو تانش (Leonid Griffin, Andrey Korotayev and Arno Tansch)، في كتاب *الإسلاموية، الربيع العربي ومستقبل الديمقراطية* (2018). وبالمثل، نشر أرنو تانش (Arno Tansch) مقالة بعنوان "نظرة إلى بيانات المسح الدولي حول الرأي العربي" في *مجلة الشرق الأوسط للشؤون الدولية*، المجلد 17، العدد 2، 2013. وكذلك دانا الكرد، وهي باحثة في المركز

<sup>1</sup> Suffice it to mention the Arab American Institute, the U.S. Institute for Peace, the Arab Reform Initiative, the Project on Middle East Democracy, the Project on Middle East Political Science, and the Arab Barometer.

العربي، قامت بتحليل البيانات التي جمعها المركز حول عدة موضوعات، مثل "قدرة الدولة وتأثيرها على الرأي العام" ونشرتها في المجلد 29 من مجلة سياسات عربية في عددها الصادر في نوفمبر 2017. وكذلك فعل محمد المصري، المدير التنفيذي للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الذي قام بنشر العديد من المقالات في صحيفة السياسة العربية، كان من ضمنها مقالة بعنوان "من يدعم داعش؟ فهم جذور التعاطف مع الدولة الإسلامية" (المجلد 27، 2017). وأخيراً تمت الإشارة إلى نتائج المؤشر العربي في تقرير ميونيخ الأمني:

انهيار نظام الاوصياء (2015) The Munich Security Report: Collapsing Order Reluctant Guardians

تزيد احجام عينات هذه الاستطلاعات عن 4000 حالة، ان لم يكن اكثر. وفي حالات معينة، بلغ على سبيل المثال، مجموع العينة التي تمثل للاجئين السوريين 5267 شخصاً، موزعين بين تركيا ولبنان والأردن والمنطقة المجاورة لتركيا في سوريا. وقد اشتمل ذلك على إجراءات معقدة لأخذ عينات من الممثلين، وعينات طبقية عشوائية مأخوذة من 377 تجمع للاجئين، كما وقام اكثر من 400 عامل ميداني مدرب بأجراء المقابلات.

ينضم المركز العربي في بعض المناسبات، إلى جهود أكاديمية أخرى لاستطلاعات الرأي في الشرق الأوسط، مثل جمعية دراسات الشرق الأوسط (Middle East Studies Association) التي بادرت إلى تنظيم مؤتمر في نوفمبر 2017 حيث قام المركز العربي من خلال فرعه في واشنطن بتنظيم جلسة نقاش حول الرأي العام في الشرق الأوسط. وفي السياق ذاته، قام جيمس زغبي<sup>1</sup> (James Zogby) من المعهد العربي الأمريكي بالرد على منتقدي استطلاعات الرأي التي تشير إلى أن نسبة كبيرة من العرب تميل إلى تفضيل الديمقراطية.

وبالمثل، شهدت مصر جهوداً مكثفة من قبل المركز المصري لأبحاث الرأي العام في القاهرة الذي تأسس عام 2012 لقياس المواقف السياسية والاجتماعية للمصريين. ويوجد في الوقت الحالي ما لا يقل عن اثنا عشر مركزاً للأبحاث ومنظمات لاستطلاع الرأي تعمل في الشرق الأوسط في مجال تقييم الرأي العام العربي، بما فيها المنظمات العربية المحلية والمنظمات الغربية. والجدير بالذكر نشاط مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت المقصور على نشر الكتب وتحرير مجلة المستقبل العربي.

هناك مشكلة مقلقة في البحث العابر للثقافات وهي كيفية ضمان صحة وموثوقية الدراسات الاستقصائية في الشرق الأوسط والتي كانت عادةً غير ملائمة لمثل هذا النوع من الأبحاث. في مقال نشر مؤخراً حول أبحاث الرأي العام في قطر، لاحظت مجموعة من الباحثين أن التحفظات الجادة من قبل الباحثين حول أبحاث الرأي العام في الشرق الأوسط يتم تحديثها من خلال ابتكارات منهجية جديدة. الملاحظة الأساسية التي قدمها هؤلاء المؤلفون هي أن المستجيبين من الشرق الأوسط أصبحوا أكثر ملاءمةً لأبحاث المسح و "المواقف الأكثر إيجابية اتجاه أبحاث المسح مرتبطة بسلوكيات أكثر ملاءمةً بين

<sup>1</sup> Zogby, James "Critics of Polls Disrespect Arab Public Opinion," *Huffpost*, October 6, 2011.

المستجيبين، وهذا التعاون الأكبر يحسن بدوره صلاحية البيانات.<sup>1</sup> وبالتالي ، يؤثر قبول الأبحاث المسحية بشكل عام على النوايا في المشاركة ويهدئ المخاوف بشأن انتهاكات الخصوصية (privacy) في مثل هذه الأبحاث. في الواقع ، أبدى المستجيبون العرب في استطلاع قطر مواقف أكثر إيجابية اتجاه المسح من المستجيبين من غير العرب الذين يعيشون في قطر. ومع ذلك، تبقى الحقيقة، أن تصورات العينة حول المسح على أنه ذو توجه سياسي ، تقلل من الميل للمشاركة فيه. والنتيجة المثيرة للاهتمام هي أن المستطلعين العرب يميلون إلى أن يكونوا أكثر ثقة بالحكومة من الاستطلاعات التي تتم برعاية مؤسسات خاصة.

## (6) البحث الإثنوغرافي

يشهد الاهتمام في البحث الإثنوغرافي ظاهرة إعادة الإحياء ويحتل مكانةً مركزيةً في المنهجيات المتنوعة التي واجهها في مرحلة ما بعد الوضعية. إن فحوى البحث الإثنوغرافي بشكل عام، على حد تعبير بول ويليس<sup>2</sup> (Paul Willis) من أشهر ممارسي المنهج الإثنوغرافي، يتمثل في فهم العلاقة بين ثلاثة عناصر: "صنع المعنى الإبداعي في الممارسات الحسية؛ الأشكال، أي الموارد الرمزية المستخدمة في صنع المعنى وكيفية تنفيذها ؛ والعلاقة الاجتماعية، أي تشكيل وتشكيل العلاقة مع العلاقات الهيكلية الرئيسية والضروريات وصراعات المجتمع . وهكذا، فإن علم الإثنوغرافيا هو تحليل لصناعة المعنى (meaning-making) باعتباره نتاجاً ثقافياً للممارسات اليومية، وهكذا فإنه يركز على التوظيف الإبداعي له (بشكل ضمني وصریح) من قبل القيمين على المجموعات الرمزية والمادية لفهم وفك شفرة العالم من حولهم، وعلى التعامل معه وفهمه على أنه مسعاً إبداعياً. من وجهة نظر معيارية وضعية، فإن المشكلة مع الإثنوغرافيا ومع جميع الأبحاث النوعية ذات الصلة، هو القياس وصحة البيانات التي تم جمعها، وتعميم النتائج التي تم التوصل إليها. وهناك انتقاد مختلف نوعاً ما حول الإثنوغرافيا يأتي من معسكر ما بعد الحداثة، ويركز على إشكالية تأليف النص. وهذا مبطن بملاحظة أدلى بها ويليس (Willis) حيث ذكر "نقد ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية للمنهج الإثنوغرافي باعتباره يشكل بديلاً أكثر منه انعكاساً لموضوع دراسته"<sup>3</sup>. نقد ما بعد الحداثة للإثنوغرافيا يطرح التساؤل حول الطبيعة النهائية والرسمية للنص والاستقرار في المعنى. التركيز على الاختلاف والازدواجية في كتابات ما بعد الحداثة يؤخذ بمعنى أن الخط الذي يفصل العالمية عن المحلية

<sup>1</sup> Gengler, Justin, Mark Tessler, Russell Lucas, and Jonathan Forney (2017) "The Determinants and Impacts of Survey Attitudes in non-Western Contexts: Evidence from a Survey and Conjoint Experiment in an Arab Country," unpublished, P.7.

<sup>2</sup> Willis, Paul (2000), *The Ethnographic Imagination*, Cambridge: Polity Press, p. 109.

<sup>3</sup> Ibid. p. 113.

أصبح غير واضح في دراسة الثقافة. العالمية ليست ببعيدة ولكنها تصبح وعلى نحو متزايد جزءاً من المحلية<sup>1</sup> (ماركوس، Marcus).

تجدد الإشارة إلى أن علماء الاجتماع يتبنون أيضاً منهجيات كمية ونوعية مختلطة، كما أن المؤرخون يعتمدون في أبحاثهم على مواد مؤرشفة. على سبيل المثال، اعتمد المؤرخ البارز حنا بطاطو في الدراسة التي أعدها حول ولادة الحركات الاجتماعية في العراق والتي أنجزها من خلال فحص دقيق للتكوينات الاجتماعية والسياسية في العراق، على مواد أرشيفية ومقابلات مع مسؤولي الأحزاب السياسية. و بعد عقدين من الزمن، وباستخدام المنهجية ذاتها، قام بطاطو بدراسة الحركات الاجتماعية في سوريا<sup>2</sup>

## (7) إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية في العالم العربي

### -- تحليل مؤسسي

صدرت في الآونة الأخيرة ثلاث دراسات عالجت موضوع "الإنتاج المعرفي" (knowledge Production) في العالم العربي مع التركيز على العلوم الاجتماعية. سنستعين في هذه المصادر وغيرها في تقديم صورة شاملة، كمية كانت أم نوعية.

يمكن تقسيم تطور العلوم الاجتماعية في العالم العربي لثلاثة مراحل. المرحلة الأولى خضعت للفترة الكولونيالية ما قبل الاستقلال. اتسمت هذه المرحلة بانتشار وجهة نظر الاستشراق (orientalism) المبنية إلى حد بعيد على مفاهيم عرقية واثنية.

المرحلة الثانية ركزت على الضرورة للتخلص من سيطرة الإستعمار على الإنتاج المعرفي، وتبني وجهات نظر نقدية هدفت إلى تغيير المفاهيم الكلاسيكية المنبثقة عن الاستشراق ، وتفهم وجهات النظر وخبرة المجتمعات المحلية.

المرحلة الأخيرة المسماة في ما بعد الكولونيالية (postcolonialism)، اتسمت باستخدام منهجية وضعية متبعة في المؤسسات التعليمية والبحثية في المجتمعات الغربية وتبني أطراً نظرية تابعة للمنهج الماركسي ونظريات التبعية (dependency theories).

مع كل هذا شهد العالم العربي أنشطة بحثية ملحوظة برزت خلال عام 2012 حسب أحد الإحصائيات الأخيرة، حيث كان هنالك في مصر ، لبنان ، قطر ، تونس ، المغرب والأردن نصف المؤسسات البحثية في

<sup>1</sup>Marcus, E. (1995), "What Comes (Just) After 'Post'? The Case of Ethnography," in Handbook of Qualitative Research, ed. Norman Denzin and Y. Lincoln (Thousand Oaks, London and New Delhi: Sage Publication 563-74, p. 566.

<sup>2</sup> Batatu, Hanna (1999) *Syria's Peasantry: The Descendants of its Lesser Rural Notables*, Princeton, N.J: Princeton University Press.

العالم العربي . وتصدرت مصر الدرجة الأولى في عدد (55) مركز بحثي، الأردن (40) مركز ، تونس (39) مركز ، المغرب (30) مركز، لبنان (27) مركز وقطر عدد (10) مراكز بحثية.<sup>1</sup>

تمهيدا لتلخيص الإحصائيات المتوفرة مجمل هذه الدراسات استنتجت ان المشكلة الرئيسية التي تواجه المؤسسات البحثية في العالم العربي هو شلل الديمقراطية، مما يجعل عملية البحث المستقل غير موجودة في جو فكري حر. ويمكن وصف بعض المراكز البحثية حسب الاصطلاح العامي بأنها "دكاكين" تخدم مصالح محليه وأجنبية مثل المؤسسات الغير حكومية (NGO's) . نتيجة هذا الواقع هو أن معظم القوات البحثية في العالم العربي بقيت هامشية في تأثيرها على صنع القرارات والسياسات، وعدد لا بأس به من علماء الاجتماع العرب نزع للخارج.

في دراسة واسعة النطاق حول إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية المعاصرة في العالم العربي، والتي تم اعتماد الإحصاءات المذكورة أعلاه منها، لاحظ كل من ساري حنفي وريجاس أرفانيتس (Sari Hanafi and Rigas Arvanitis) أن الموضوعات البحثية في العلوم الاجتماعية العربية ركزت على التخلص من الاستعمار، والهوية الوطنية، والتحديث وافتقرت إلى منظور "التمثيل الثقافي" (cultural representation). وفقاً لحنفي وأرفانيتس، جاءت المخاوف المتعلقة بالهوية الوطنية على حساب دراسة الأقليات والعلاقات العرقية. في الواقع، نادرة هي الدراسات العلمية التي تتعامل مع الهوية العرقية والصراع في المجتمعات العربية. كما أن وتيرة الإنتاج البحثي ونطاقه وتمويله ليست موحدة في جميع أنحاء العالم العربي. والمغرب العربي متخلف عن المشرق في تأمين التمويل الأجنبي وإنشاء مراكز البحوث ولا حتى على شكل منظمات غير حكومية. ومع ذلك، فإن المغرب العربي يقدم مخرجات فكرية تفوق بعددها مخرجات المشرق. ومن خلال تبني تصنيف مايكل بوراوي (Michael Burawoy) ذي المحاور الأربعة، بحث اجتماعي مهني (professional)، بحث اجتماعي نقدي ، بحث اجتماعي للعموم (public research)، وبحث اجتماعي للسياسات (policy research) ، فإن كلاً من حنفي وأرفانيتس يتفردان بمعالجة موضوع غياب الدراسات السياسية وتأثيرها على الحكومة، ويصلان إلى نتيجة مفادها أن حل المشاكل الاجتماعية لا يشكل هدفاً من أهداف علم الاجتماع في الدول العربية. كما أن السبب في غياب علم الاجتماع النقدي يعود لقلة مشاركة علماء الاجتماع في قضايا البحث الأخلاقية والمعيارية. اذ يبدو أن القضايا ذات الطبيعة العالمية قد غطت على تلك التي لها طبيعة محلية وإقليمية، وكما يبين تحليل محتوى المواد المنشورة، يبدو أن هناك تفضيلاً للبحث النظري. أما المقالات التي تشتمل على عمل ميداني وجمع بيانات فإنها تشغل مكاناً ثانوياً. تلعب اللغة دوراً مهماً للغاية بصفتها لغة النشر في الإنتاج المعرفي في العلوم الاجتماعية. ومع التحول إلى العولمة، تمكنت اللغة الإنجليزية من تعزيز مكانتها البارزة بصفتها اللغة

<sup>1</sup> Hanafi, Sari and Arvanitis, Rigas,(2015) *Knowledge Production in the Arab World*, London: Routledge, P. 213.

الرئيسية للنشر. ومن هنا اقتبس المؤلفان الأرقام التي تشير إلى أن ما بين عامي 1998 و 2007 ، 94 % من المنشورات الأكاديمية صدرت باللغة الإنجليزية. تغيب اللغة العربية عن 10 لغات يتم استخدامها بشكل متكرر في قاعدة بيانات "Web of Science"، و 85 % من الملخصات الاجتماعية هي باللغة الإنجليزية. بغض النظر عن التخصص، 98 % من المنشورات تصدر ككل بغض النظر عن التخصص (الذي يشمل العلوم التطبيقية والطب والعلوم الاجتماعية والإنسانية) باللغة الإنجليزية، و 11 % باللغة العربية. الاستخدام المحدود للغة العربية في المنشورات العلمية يحد من النقاش العام خارج إطار المجتمع الأكاديمي. ويؤكد المؤلفان على زوال علم الاجتماع "العام" (public sociology). ومن خلال القيام بدراسات حالة لافتتاحيات ثلاث صحف لبنانية (اثنان باللغة العربية وواحدة باللغة الإنجليزية)، يخلص المؤلفان إلى أن الأكاديميين يترددون في المساهمة في الافتتاحيات بسبب عدم ثقتهم بوسائل الإعلام، وبأن كتابة مقالات في صفحات الرأي ليس له أي وزن في موضوع الترقية والملكية العلمية. تظهر محتويات المقالات الافتتاحية التي تم أخذ عينات منها، أن الغالبية (70 %) كانت تتعلق بالسياسة، و 18 % حول القضايا الاجتماعية، و 6 % تتناول المشاكل الاقتصادية، تلمها القضايا الثقافية بنسبة 5 %.

وتؤكد دراسة رئيسية ثانية<sup>1</sup> صدرت عام 2015 الصورة الموضحة أعلاه. التقرير الذي ألفه عالم الاجتماع محمد بامية ونشر كتقرير أولي للمرصد العربي التابع للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية الذي تم إنشاؤه مؤخراً ويتخذ من بيروت مقراً له، يتوسع أكثر في تعريفه لما المقصود بالعلوم الاجتماعية: إذ يشمل العلوم السياسية، الاقتصاد، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، التاريخ وعلم النفس، بالإضافة إلى مجالات متعددة التخصصات كالدراسات الجندرية، الدراسات الحضارية والدراسات الثقافية. ويشير التقرير في مقدمته، إلى وجود "ذاكرة أكاديمية ضعيفة" في الجامعات العربية، ناجمة إلى حد كبير عن استمرار الصراع في المنطقة الذي ساهم في "ضعف القدرة على التواصل الاجتماعي العربي". علاوة على ذلك، يستخف التقرير بتأثير الثقافة التي تقود المستهلك خلف الليبرالية الجديدة والتي تشكل بدورها هيكلًا لما يظهر بشكل متزايد على شكل جامعات شركات ولنتاجها الفكري في كل من الغرب والشرق الأوسط. ويدافع التقرير عن المعرفة بوصفها قيمة في حد ذاتها على أمل أن تؤدي إلى التنوير الاجتماعي وتحسين مهام الجامعة.

عدم الاستمرارية في الذاكرة الجماعية للجامعات العربية ينعكس على تجارب الأجيال المتباينة، حيث يظهر الأساتذة الشباب موقفاً تعليمياً أضعف مقارنةً بالجيل الأقدم. ونقلاً عن تقرير المعرفة العربي

<sup>1</sup> Bamyeh, Mohammed (2015) *Social Sciences in the Arab World: Forms of Presence*, Beirut, Lebanon: The Arab Council for Social Sciences., available at <http://www.theacss.org/uploads/English-ASSR-2016.pdf>.

انظر ايضا الأوراق الخلفية للتقرير النهائي: (1) المختار الهراس، دوريات العلوم الاجتماعية العربية: مناهج، مداخل، ومقاربات. (2) Rima Majid, *The Presence of Social Science in Arab Civil Society Organizations*، بيروت: المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، 2015، <http://www.theacss.org/pages/assm>

الصادر في العام 2014، تظهر "الجامعات العربية بوجه عام سياسات أبحاث سيئة للغاية، ومناهج قديمة في صنع القرار، وكذلك فشلاً في مواكبة متطلبات مجتمع المعرفة المعاصر"<sup>1</sup>.

48% من 614 جامعة في العالم العربي لديها كليات للعلوم الاجتماعية، وتعد جامعة القاهرة الأقدم في العالم العربي. كما أن 90% من الجامعات العربية تم تأسيسها بعد عام 1950 و70% بعد عام 1991. ظهرت تيارات مختلفة في العلوم الاجتماعية الأكاديمية العربية، من التيارات التكنوقراطية والليبرالية والشعبية، والتي ظهرت أيضاً في الجامعات الغربية، إلى تيار الأسلمة الذي ظهر في المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر في ثمانينيات القرن الماضي، وفي بعض الحالات بلغت هذه التيارات ذروتها في الدعوة إلى علم الاجتماع الإسلامي. عند دراسة موضوعات البحث العلمي في الجامعات العربية، نسجل ملاحظتين رئيسيتين: الأولى تتعلق بندرة البحوث حول موضوعات مثل العمالة الوافدة، حيث يشكل العمال الأجانب في غالبية الدول العربية، في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى على سبيل المثال، غالبية القوى العاملة. يشير التقرير إلى نوع من الشذوذ يتعلق بالمملكة العربية السعودية التي تركز على الجريمة كتيار بحثي نشط ووحيد، في وقت تشهد فيه المملكة العربية السعودية مستواً منخفضاً جداً في معدلات الجريمة. ما هو السبب؟ يقدم التقرير التفسير التالي: تُفسر الجريمة على أنها انتهاك للمعايير التي لا تقرها السلطات الحاكمة. بعبارة أخرى، الجريمة بحد ذاتها لا تؤخذ على أنها واحدة من انتهاكات حقوق المواطنة العالمية، وإنما هي معرفة بصفتها تشكل تهديداً للنظام الحاكم. على حد تعبير التقرير، "من الواضح أن موضوعات البحث [في المملكة العربية السعودية] تتوافق مع الاتجاهات العامة التي تتبعها السياسات والإيديولوجيات الحاكمة، فضلاً عن القيود المعروفة على حرية البحث"<sup>2</sup>. أما الملاحظة الثانية، فتتعلق بإضافة أبحاث علمانية أخرى، موضوعات مغيبة مثل حقوق الإنسان والعنف الأسري ودور المرأة في المجتمع والمشاركة السياسية وفساد موظفي الحكومة والرقابة الحكومية والخصوصية.

تثير هذه القضايا مجموعة المشكلات المتعلقة بتكوين المفاهيم في العلوم الاجتماعية العربية. وكما يشير التقرير، فإن مفاهيم مثل المجتمع المدني، المشاركة السياسية، وربما نضيف الجريمة، الاغتراب، والخصوصية وغيرها من القضايا تتطلب فحصاً دقيقاً لمفاهيم العلوم الاجتماعية العابرة للثقافات.

على مستوى آخر، لا يتناول التقرير أبحاثاً مبتكرة في فلسطين، في الضفة الغربية وغزة على وجه التحديد، ولا تلك التي انتجها الفلسطينيون في إسرائيل. بخلاف الإشارة إلى فلسطين في الأرقام الإجمالية المقدمة في هذه التقارير، لا توجد إشارة إلى المبادرات البحثية الفعلية في مختلف فروع العلوم الاجتماعية. يكفي باختصار، أن نشير إلى أبحاث العلوم الاجتماعية الجوهرية التي يقوم بها الفلسطينيون حول العنف

<sup>1</sup> Ibid. Bamyeh, p. 22.

<sup>2</sup> Ibid., p. 27

الأسري، التمييز بين الجنسين، حقوق الإنسان، اللاجئين، الصحة العامة، الفضاء السيبراني والمراقبة (surveillance). لقد أدرجت هذه المصادر بشيء من التفصيل في مكان آخر<sup>1</sup>.

## -- تحليل مهني

أصدر المجلس العربي للعلوم الاجتماعية في بيروت عام 2018، تقريره الثاني حول أوضاع العلوم الاجتماعية العربية. وكان عالم الأنثروبولوجيا عبد الله حمودي، هو من قام بإعداد هذا التقرير الذي يناقش تطور العلوم الاجتماعية العربية ابتداءً من الألفية الثانية وعلى مدى ثلاث مراحل زمنية مختلفة: 2005-2000، 2006-2010، 2011-2016. وفي حين أن التقرير الأول كان قد تناول البنية التحتية لإنتاج المعرفة في العالم العربي، وركز بشكل خاص على التوسع والتنوع في مؤسسات التعليم العالي، فإن التقرير الثاني يتناول موضوع إضفاء الطابع المهني على العلوم الاجتماعية في مجالات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي. كذلك تناول التقرير الكتب والدوريات. وقد تم توسيع هذا الأخير ليشمل التاريخ والاقتصاد والعلوم الاجتماعية، واستبعد منه التقارير التي قام استشاريون بإعدادها وكذلك أطروحات طلبة الدراسات العليا.

بالإضافة إلى معالجة التأويل الهرمنيوطيقي للنصوص وتحديد الأبعاد النوعية للبحث موضوع الدراسة وتعداد متغيراته، أخذ التقرير بعين الاعتبار البيانات الكمية، واهتم بتطور واستخدام المفاهيم وإشكاليات البحث والموضوعات والمنهجيات.

تناول الفصل الأول علم الاجتماع في المغرب العربي الكبير (المغرب وتونس والجزائر)، ثم المشرق (لبنان وفلسطين وسوريا والأردن والعراق)؛ أما مصر، فقد تمت معالجتها في فصل مستقل، في حين تناول الفصل الثاني الأنثروبولوجيا في المغرب العربي، يليه المشرق. وفي الفصل الثالث تم تناول علم النفس الاجتماعي، بينما ركّز الرابع اهتمامه بمحتويات الدوريات العلمية الاجتماعية.

اختار المؤلف بالإجمال 650 كتاباً للقائمة المختصرة، 366 منها غطت المغرب، 147 الجزائر و137 تونس. وشملت هذه القائمة المصادر النوعية والكمية. من ناحية التغطية الموضوعية، احتلت الثقافة، بما في ذلك الهوية والقيم، المركز الأول في المنطقة المغاربية، يليها علم الاجتماع السياسي، النظرية والأساليب المنهجية، التنمية، علم اجتماع الأسرة، التدين، الإعلام الجماهيري والتباين وعدم المساواة. ومن العينة المختارة، خمسة كتب فقط تتناول علم الاجتماع الريفي، وبالمثل، كان الاهتمام البحثي في علم اجتماع القبيلة محدوداً للغاية. وقد لوحظ أن العمل الميداني وجمع البيانات لا يشكلان سمات مهيمنة على النشاط البحثي. ويعزى ذلك إلى تردد الباحثين في الانخراط في جمع البيانات خشية أن يثير هذا شكوكاً من جانب السلطات. كان هذا هو الحال بشكل خاص في الجزائر حيث تم استخدام البيانات الوثائقية كبديل عن البحث الميداني. كما لوحظ أن الدراسات تفتقر للتنظير. وعليه، لم يتردد المؤلفون في وصف النظريات ولكن ليس التنظير. فيما يتعلق بالمنهجية وبالمقارنة مع المناهج الكمية، فإن المناهج النوعية هي التي تهيمن. وهذا على ما يبدو حسب رأي أصبح سمة عالمية عابرة للبلدان وتخصصات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ليس فقط في الشرق الأوسط ولكن أيضاً في الدول الغربية الأخرى.

لقد شهدت المرحلة الزمنية الأولى، 2005-2000، حيث كانت الدراسات التنموية مألوفة، استخدام المفاهيم بوصفها متغيرات مستقلة ومتغيرات تابعة على حد سواء، فعلى سبيل المثال، التنمية الاجتماعية والاقتصادية بوصفها متغير مستقل

<sup>1</sup> Zureik, Elia (2016) *Israel's Colonial Project in Palestine: Brutal Pursuit*, Milton Park, UK and New York: Routledge.



أثرت على متغيرات أخرى مثل الهجرة والتغيير الاجتماعي والمشاركة السياسية للشباب وغيرها. أما المتغير التابع، فيتم استخدامه على سبيل المثال في وصف كيفية تأثير صورة الجسد الأنثوي على أنماط التنمية ومشاركة المرأة. المرحلة الزمنية الثانية، 2006-2010، ركزت على المرأة والحركة النسوية، لا سيما في تونس. كذلك الانشغال الفكري بالثقافة، أي اللغة والدين والتاريخ والرموز التي ساهمت في المعرفة الاجتماعية. المرحلة الزمنية الثالثة، 2010-2016، شهدت ظهور مجموعات من المفاهيم وبروز عنقود مفاهيمي "الموروث الإسلامي"، "روحي". ظهرت أيضاً مفاهيم أخرى مثل "النخب" نخبة، التحرير "تحرر" والتقدم "تقدم". وخلص المؤلف إلى أن الجزائر تقدم نموذجاً عن كيفية تأسيس العنف لمجموعة (عنقود cluster) تطورت منها مفاهيم أخرى مثل العنف الاجتماعي والعنف النفسي والعنف القانوني وما إلى ذلك.

في الفصل المتعلق بالمشرق، اختزل المؤلف قائمته المؤلفة من 540 كتاباً إلى 240 كتاباً قسمها إلى المراحل الزمنية الثلاث التي تم ذكرها آنفاً. واختار بشكل عشوائي 60 كتاباً للتحليل وحذف خمسة كتب تعالج الجغرافيا والقانون.

وكانت الهيمنة لعلم الاجتماع السياسي، يليه علم اجتماع الثقافة وتلا ذلك النوع الاجتماعي والمرأة والنسوية. ولوحظ غياب كتب تعالج علم اجتماع التحديث والتطوير والعمالة والتصنيع. وقد اشتملت المرحلة الأولى على موضوعات العنف، أزمة علم الاجتماع، الذكورة، الإنترنت، العولمة، الهوية، المجتمع المدني والتواصل. وركزت المرحلة الثانية على موضوعات السلطة، علم اجتماع الدولة، الدين، المرأة، الهيمنة الغربية وعلم اجتماع العنف. وأخيراً في المرحلة ما بين 2011-2016، يشير المؤلف إلى وجود موضوعات الجندر والنسوية والإرهاب والدين والعلمنة ومجتمع المعرفة والعولمة.

وقد تم على وجه التحديد ضبط ستة موضوعات جرت تغطيتها في كتب العلوم الاجتماعية حول المشرق: (1) الأزمة الاجتماعية وارتباطها بظهور الإنترنت والتغيرات التي رافقتها في وسائل التواصل، العولمة ومسائل تتعلق بالإمبريالية الثقافية؛ (2) العنف الذي تأثر بشكل كبير بقضية فلسطين والاستعمار الاستيطاني؛ (3) قضايا المرأة والنوع الاجتماعي والتغيير الاجتماعي؛ (4) التقسيم الطبقي والطبقات الاجتماعية ومناظرات ماركس و ووير؛ (5) هيمنة الأنظمة الاستبدادية؛ (6) مسائلات حول الحاجة إلى علوم اجتماعية "ملائمة" تعكس تجربة المنطقة.

اشتملت العينة المصرية على 285 كتاباً، ستة منها مترجمة عن الإنجليزية، وكالعادة، تم استبعاد التقارير من التحليل. تضمنت المرحلة الزمنية الأولى مجموعة من الكتب، 55% منها تعالج علم الإنسان و58% علم الاجتماع الثقافي. في المرحلة الثانية ما بين 2006-2010، برزت موضوعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية وعلم الجريمة، بينما هيمن علم الاجتماع السياسي على المرحلة الزمنية الثالثة 2011-2016. ويشير هنا أيضاً إلى تراجع الدراسات الاجتماعية الكمية التي تعالج موضوعات السكان والديموغرافيا. توضح حالة مصر أهمية دور القطاع الخاص في الدعم المادي للعلوم الاجتماعية، ويعود ذلك إلى انخفاض التمويل العام. إلا أن المؤلف يذكرنا بالدور الأساسي الذي لعبه المركز القومي للبحوث الاجتماعية في القاهرة. وفي حديثه عن مدرسة الفكر، يستخدم المؤلف تعبير "خطاب" لتصنيف مدارس الفكر التي ظهرت في العلوم الاجتماعية المصرية بين عامي 2000 و 2016<sup>1</sup>:

53%	خطاب التحول الاجتماعي	Social change
33%	خطاب الثقافة	Culture

<sup>1</sup> حمودي، عبد الله، العلوم الاجتماعية في العالم العربي: مقارنة الانتاجات باللغة العربية 2000-2016، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 2018، صفحة 47

خطاب البنية الاجتماعية	13%	Social Structure
خطابات أخرى	1%	Others

لقد شهد التغيير الاجتماعي تراجعاً ملحوظاً خلال الفترة من عام 2000 إلى 2016 ، حيث انخفضت نسبة المصادر من 43% إلى 21% . انخفضت كذلك نسبة المصادر التي تعالج مضوعات الثقافة كمدرسة للفكر خلال نفس الفترة من 51 % إلى 23 % . وعلى الرغم من تصدر المنهجية النوعية، فإن الفجوة بينها وبين علم الاجتماع الكمي تضيق (من 49% إلى 46%)، مما يقودنا إلى النقطة التالية:

"تواجه دراسات علم الاجتماع المعاصر في مصر تحديات جمة يتجلى أولها في النقص الصريح في التفاعل مع الجدل النظري الحديث في علم الاجتماع على المستوى الدولي ... تطغى الطروح الوظيفية الكلاسيكية على الكثير من البحوث في علم الاجتماع. بالنسبة للتطورات النظرية الحديثة يعجز قسم كبير منها عن طرح نماذج دقيقة لقراءة التطورات الحديثة في النظرية الاجتماعية"<sup>1</sup>.

وفي العودة إلى الأنثروبولوجيا، اعتمد التقرير على 167 كتاباً من المغرب العربي: 47% من المغرب، 29% من الجزائر و 24% من تونس. تُظهر الموضوعات التي تم تحليلها في هذه الكتب أن الأنثروبولوجيا الثقافية احتلت مكانةً مهيمنة في المغرب وتونس وذلك بنسبة 42% و 40% على التوالي، بينما جاءت في الجزائر بنسبة 58% من خلال استخدام الفولكلور المدون والشفهي. وبسبب الرقابة، غاب موضوع الأنثروبولوجيا السياسية بشكل تام في الجزائر، وضعفت نسبته في تونس والمغرب. هنا أيضاً يشير المؤلف إلى أنه عندما يتعلق الأمر بالتنظير والمنهجية، فإن إنتاج البلدان الثلاثة كان دون المستوى الدولي. وقد اعتمد البحث الأنثروبولوجي في كلٍ من المشرق والمغرب العربي على المدارس الفكرية الأوروبية والأنجلو ساكسونية. وعلى الرغم من الاستشهاد بالعديد من الدراسات الأنثروبولوجية باللغة العربية، فقد لوحظ غياب الأنثروبولوجيا العربية التي تعتمد على نظريات ومنهجيات السكان الأصليين.

يتناول الفصل التالي في التقرير علم النفس الاجتماعي، حيث تم تحليل سبعة وثلاثون كتاباً، بالإضافة إلى 144 مقالة منشورة في المجالات. وقسم المؤلف العالم العربي إلى ثلاث مناطق: المشرق الذي يتألف من فلسطين ولبنان وسوريا والأردن والعراق، تليها ثلاث دول في شمال إفريقيا هي مصر والسودان وليبيا، وأخيراً، الجزيرة العربية المؤلفة من البحرين والكويت وعمان والمملكة العربية السعودية وقطر واليمن والإمارات العربية المتحدة. 50% من الكتب تم نشرها في المشرق. وتستحوذ المغرب ودول شمال إفريقيا المتبقية على 40% من نسبة الكتب المنشورة، وحصلت مصر على النسبة الغالبة من هذه الكتب. والـ 10% من الكتب المتبقية، تم نشرها في شبه الجزيرة العربية. ويشير المؤلف في تلخيصه إلى الحاجة لمزيد من البحوث في علم النفس الاجتماعي. ورحب في المقابل بحقيقة أن الإشارة إلى المصادر العربية استحوذت على نصيب الأسد من نسبة المراجع الإجمالية، وذلك على الرغم من أن نصف هذه المصادر ليست بجديدة. وفي النقاش حول محفزات البحث، عالجت معظم المقالات الظروف المحلية والمشاكل الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والشباب والجريمة وغيرها. 22.9% من المقالات كانت

<sup>1</sup> حمودي، عبد الله ، العلوم الاجتماعية في العالم العربي: مقارنة الانتاجات باللغة العربية 2000-2016، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 2018، صفحة 51

نظرية ومعظمها تجريبي؛ في حين 92% كانت مقالات كمية مع حوالي 5 في المائة فقط من المقالات النوعية. تمثل المقالات التجريبية نسبة 2 في المائة فقط، في حين بلغت نسبة المقالات التي تعتمد المنهجيات المركبة 85%.

يعتمد التحليل في دوريات العلوم الاجتماعية على التخصصات التالية: علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والسياسة والاقتصاد والتاريخ. واختار المؤلف تسعة دوريات من الكويت ولبنان والجزائر ومصر والعراق ولبنان وتونس والمغرب والإمارات العربية المتحدة. بلغ عدد الموضوعات التي برزت في التحليل 30 موضوعاً: 13% منها تتناول قضايا المرأة، و8% قضايا الشباب، في حين حصلت موضوعات الأسرة والطفولة والهوية على نسبة 6%. أما المرحلة الثالثة، 2016-2011، فقد شهدت طفرة في المقالات التي تتناول موضوعات الشباب والمرأة والهوية ووسائل الإعلام والسياسة. ويقول المؤلف أن هذا التحول ليس إلا نتاجاً للربيع العربي. ثمانية وخمسون في المائة من المقالات تقدم في بدايتها سؤال بحث للقارئ، بينما 41% منها تفتقد إلى ذلك. بشكل عام، 2% من المصادر اعتمدت منهجية تأملية "speculative"، في حين 51% اعتمدت على المنهج النظري، و39% افتقدت لهذه المنهجيات، و9% منها نشرت نتائج العمل الميداني. في 39% من المقالات لم تتم الإشارة إلى أي منهجية بحث. وعلى نفس المنوال، 51% من المقالات لم تذكر أداة البحث المعتمدة ("ادوات تقنية")، مع الأخذ في عين الاعتبار أن الاستبيان هو الأداة الأكثر شيوعاً في الاستخدام. 54% من المقالات حاولت توضيح المنهجية المعتمدة، في حين أن 45% منها لم تحاول حتى توضيح المنهجية المعتمدة، لا بل شرعت في مناقشة نتائج البحث دون معالجة إشكالية البحث. فيما يتعلق بتقنيات المنهجية النوعية المتطورة والمعتمدة في البلدان الغربية المتقدمة، فهي ليست ممثلة في مجلات العلوم الاجتماعية العربية.

وأخيراً، يدرج التقرير عدة توصيات معظمها مضمّن في النقاش إن لم يكن تم التعبير عنها بشكل صريح حتى الآن. ومع ذلك، فمن المستحسن في خاتمة هذا الملخص، تسليط الضوء على بعض منها. أولاً، هناك مجموعة محدودة من علماء الاجتماع الذين قدموا إضافة إلى معرفتنا في مجال (الطبقات)، الجندر، الهوية، العولمة والعنف. كما أشار المؤلف إلى أن الأعمال التاريخية والوثائقية تتناقص في العلوم الاجتماعية العربية، وتتم معالجتها ببطء في البحوث التجريبية التي تعتمد العمل الميداني. لكن الخطوات التي يتم اتخاذها تظل محدودة ولا علاقة لها بالنقاش الأوسع الذي يدور في العلوم الاجتماعية الأكثر شمولية. ثانياً، يأسف المؤلف لغياب النظريات والمنهجيات الاجتماعية الأصيلة في تجربة العالم العربي. كما أن محاولات الاستلهام بشكل جدي مما هو مفيد من العلوم الاجتماعية الغربية، لا تزال شكلية ولا تعتمد التحليل العميق لهذه النظريات. ثالثاً، تشكل المصالح التجارية المحرك الرئيس للنشر في مجال العلوم الاجتماعية في العالم العربي، ويفتقر كذلك إلى الآليات المؤسسية في حصر المخطوطات. وهذا يشمل الدور الهام الذي تلعبه الجامعات كأحد عوامل التمكين في مجال معايير التميز. ملاحظة مهمة للغاية تلخص تحفظات المؤلف على النحو التالي:

"كما لا يهتم الباحثون إلا بصورة استثنائية بالإحاطة بما كتبه الآخرون في الموضوع المتناول والبناء عليه، مع زيادات نوعية. وإن حصل ذلك البناء فيكون عادة على شكل تلخيصات قلما تتبنى النقد الهادف، وتوضيح مفاهيم أو فرضيات. وفي معظم الحالات، تبقى هذه الأخيرة غير محينة، والعربية هي لغتها في الدرجة الأولى - وهذا طبيعي - لكننا نلاحظ الضعف النسبي للمزج المرغوب فيه بين العربية ولغات العلوم الاجتماعية الأجنبية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> حمودي، عبد الله، العلوم الاجتماعية في العالم العربي: مقارنة الانتاجات باللغة العربية 2000-2016، المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت، 201، صفحة 116.

## (8) إنتاج المعرفة في ظل الاستعمار، أنظمة المراقبة، والعامل الديمغرافي: صياغة المفاهيم

بالاستناد على المساهمات التي ظهرت في مجلة عمران، مجلة العلوم الاجتماعية التي تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، قطر، أعتزم مناقشة ثلاثة أمثلة في هذا القسم المفاهيمي من الورقة المختاره من 15 دراسة حالة تتناول إنتاج المعرفة الاجتماعية ذات الصلة بالمجتمع العربي: سنبحث أولاً في موضوع العلاقة بين الاستعمار وإنتاج المعرفة؛ ثانياً، تطبيق إطار المراقبة من أجل فهم مستوى الأداء في الدولة العربية في ظل المرحلة الاستعمارية وما بعدها؛ ثالثاً، العلاقة بين الديموغرافية والديموقراطية.

### محاور دورية عمران للعلوم الاجتماعية

المحور	العدد	التاريخ
النمو المعاق والتنمية المستدامة	1	تموز/ يوليو 2012
تغير أنماط التدين في العالم العربي	2	أكتوبر/ تشرين الأول 2012
التحولات الديمغرافية في الوطن العربي وقضايا التنمية	3	كانون الثاني/ يناير 2013
جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة الوطنية في الوطن العربي	4	نيسان/ أبريل 2013
التفاوت الاقتصادي والتنمية الاقتصادية	5	تموز/ يوليو 2013
ممارسة أنظمة المراقبة في الوطن العربي	6	تشرين الثاني/ نوفمبر 2013
ممارسة أنظمة المراقبة في الوطن العربي (2)	7	كانون الثاني/ يناير 2014
الكولونيالية الصهيونية في الممارسة: حالة فلسطين	8	نيسان/ إبريل 2014
المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير	11	كانون الثاني/ يناير 2015
راهن القبيلة في الوطن العربي	15	كانون الثاني/ يناير 2016
أزمة المدينة العربية	16	نيسان/ إبريل 2016
سوسيولوجيا إنتاج المعرفة الكولونيالية - حالة المغرب	17	تموز/ يوليو 2016
راهن القبيلة في العالم العربي 2	19	كانون الثاني/ يناير 2017
الشباب العربي: قضايا الهجرة والتنمية	21	تموز/ يوليو 2017
الحراك النسائي العربي في مدن الرجال	25	تموز/ يوليو 2018

## دراسة الحالة الأولى: الاستعمار وإنتاج المعرفة

يرتبط الاستعمار في المقام الأول باستخدام العنف بهدف إخضاع الشعوب المغلوب على أمرهم وضم الأراضي. والأمر الذي لا يقل أهمية، هو كيف ينخرط الاستعمار في إنتاج المعرفة الاستعمارية من أجل تعزيز مشروع سيادته بشكل يحول من إظهار تورطه في أعمال العنف. عالم الاجتماع المغربي محمد فوبار عبر عن هذه القضية بإيجاز عندما قال:

"وإذا كان الاستعمار يمثل هيمنة على مجتمع آخر بالقوة العسكرية قصد استغلال ثروات هذا المجتمع وطاقاته البشرية والمادية، وإذا كان الاستعمار واذلال الإنسان بدعوى "عدم تحضره" وحاجته إلى تجاوز الفوضى والتأخر، فلا غرابة إن وجدنا أنه لا يعتمد فقط على القوة المادية والعسكرية لفرض سيطرته على الإنسان والمجال بل يتوسل أيضاً بالسلطة الرمزية لممارسة تأثيره في أفراد المجتمع المستعمر وتكريس الثقافة المفروضة، وقولبة الذهنيات بغية خلق القابلية للاستعمار لدى هذه المجتمعات؛ ولعل من أبرز أدوات هذه السلطة المعلم والطبيب".<sup>1</sup>

وغني عن القول، أن إدوارد سعيد كان شخصية فكرية معروفة، وقد قدّم لنا في كتابه *الاستشراق*، دراسة حول إنتاج المعرفة الاستعمارية بوصفها منهجاً وظّفه الغرب والمجموعات التابعة له، لتمثيل وتخيل الشرق - ثقافته وفنه وعلمه وديانته، لتصبح المعرفة والخطاب أداة من أدوات القوة الاستعمارية.

وقد ركزت مساهمات مجلة عمران، حول المعرفة الاستعمارية، على المغرب وعلى توثيق مراحل مختلفة من الوجود الفرنسي فيه (أنظر المحور 15). ويشرح المؤلف في إحدى المقالات، كيف قام الفرنسيون في المغرب بمناقشة استخدام القمع العنيف للسكان بدلاً من استخدام الوسائل "السلمية"، وكيف تطورت أماكن العبادة لتصبح ملجأً ضد التوغل الفرنسي. وقد ترافق الحضور الفرنسي مع دعوة لبناء معرفة إثنوغرافية محلية من أجل تعويض ما قام الفرنسيون بالقضاء عليه. وتستعرض ورقة ثانية عملية التمدن حيث يلاحظ أنها تختلف عن أشكال التمدن الغربية. ففي حالة المغرب، التمدن لا يعني تبني القيم الحضرية كما هي. كما أن الحراك المجتمعي ترافق مع الاحتفاظ بالقيم الريفية وقيم الإسلام، وقد صاحب ذلك إنشاء جيوب ريفية في المدينة عرفت بما يطلق عليه اسم "المجتمع القبلي الحضري". وبدلاً من البروليتاريا العلمانية، التي كان يتوقعها الفرنسيون، جذبت المعارضة السياسية الراقية في الحركات الدينية، أتباع القادمين الجدد إلى المدن. في المادتين المتبقيتين، يؤكد المؤلفان على استخدام الفرنسيين للقوة الناعمة والهندسة الاجتماعية لإحداث التغيير، وفي حالة واحدة يؤكد المؤلف أن الفرنسيين استخدموا تقارير مفصلة أعدها

1 محمد فأوبر، "سوسيولوجيا الإنتاج المعرفي الكولونيالي: بشأن التربية والتعليم في المغرب" العدد 5، رقم 17، صيف 2016، ص 70.

البيروقراطيون وعلماء الاجتماع وغيرهم ليتيحوا للمحتل الفرنسي تفاصيل حول الحياة في المغرب. وقد تم استخدام هذه الدراسات نفسها من قبل الفرنسيين لحكم المغرب.

### دراسة الحالة الثانية: المراقبة في ظل الدولة العربية المعاصرة

كانت الرقابة تحدث في سياق الحياة اليومية للأشخاص الذين كانوا يقومون بمراقبة الناس. كما أنها كانت تمثل جانباً رسمياً من السياسات الاستعمارية التي وظفت الرقابة في الإجراءات البيروقراطية والتعدادية (الاحصائية) والقانونية التي تهدف إلى السيطرة على الأراضي وعلى تصنيف السكان، وهو نمط يصفه بعض الباحثين "بالمراقبة الجماعية" (panopticism). وقد عبر إدوارد سعيد عن ذلك بإيجاز عندما وصف القياس الكمي والتصنيف الشخصي بوصفها شكل من أشكال المراقبة الاستقصائية. "لتقسيم، نشر، تخطيط، جدولة، فهرسة وتسجيل كل ما يلوح في الأفق (وخارج البصر - في الأصل)"، كما قال، "هي واحدة من ملامح التوقعات الاستشراقية". وعلاوة على ذلك، يشير عالمة الأنثروبولوجيا آن ستولر (Ann Stoler) إلى أن "قوة الفئات تكمن في قدرتها على فرض الحقائق التي تصفها ظاهرياً فقط. ولا يعد التصنيف هنا عملاً ثقافياً حميداً وإنما عمل سياسي قوي" (2010: 8).

يمكن للمرء أن يجادل بأمان أن الاستعمار والإمبريالية كانتا وراء الدافع لتطوير تكنولوجيات حديثة من قبل الدولة للمراقبة والضبط، برزت المراقبة باعتبارها ضرورة لإدارة السكان والأراضي. كما أنها ساهمت في إدخال ابتكارات على استخدام التعدادات، والإحصاءات، والبصمات، وتفصيل الملامح بما في ذلك القزحية والتعرف على الوجه، والممارسات الإلكترونية في السجون.

تكرس الأوراق الخمس في ملف مجلة عمران (انظر محور 6 و 7) المخصص لموضوع المراقبة في مصر، الإمبراطورية العثمانية، الولاية البريطانية على فلسطين، مراقبة إسرائيل للأقلية الفلسطينية واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي خلال الربيع العربي في تونس. شهدت فترة ما بعد الاستقلال قيام الدولة العربية بتطوير أجهزة مخابراتها إلى درجة أن الدولة قد سميت بدولة المخابرات. المقالة حول مصر لها عنوان مناسب: (من البصاصة إلى الصراع والعنف). ويشرح المؤلف بأن نطاق المراقبة توسع بتوسع بيروقراطية الدولة المصرية.

"لقد تحولت عمليات المراقبة المباشرة إلى مؤسسات تتعدد وتنوع في وظائفها كلما تعقد بناء الدولة وتزايدت حدة المعارضة للنظم السياسية، كما تحولت إلى مزيد من الاعتماد على القوة الرمزية للدولة وأجهزتها الرقابية، وإلى تحويل العنف إلى الدوائر الاجتماعية الأوسع ليصبح العنف أداة غير مباشرة لإخضاع الأفراد وضبطهم".

يستخدم المؤلف مفهوم فوكو حول الحكومية كحجر زاوية في تحليله، لأن هذا المفهوم يجسد الطرق المباشرة وغير المباشرة للمراقبة والتحكم، وكذلك استخدام التكنولوجيا والتحليل الوثائقي. كما أنه يؤكد على مفهوم فوكو حول التأديب والانضباط الذاتي.

"يشير مفهوم المراقبة إلى ما هو أبعد من مراقبة الأفراد أو الأشياء أو المجموعات أو حتى النظم، وإلى ما هو أبعد من استخدام الأساليب غير المباشرة في المراقبة كاستخدام التكنولوجيا وجمع البيانات وتحليلها؛ أنه يستخدم بمعنى أقرب إلى مفهوم الحكومية بالمعنى الذي استخدمه ميشيل فوكو، وهو أنه فن الحكم الذي يهدف إلى تنظيم السكان وضبط سلوكهم عبر المعرفة والخطاب السياسي وتقنيات القوة التي توفر لأجهزة الدولة سيطرة على الأفراد من ناحية، وتجعل الذوات الفردية قادرة على الانضباط الذاتي، ومن ثم الخضوع من ناحية أخرى. فالحوكمة بهذا المعنى تجمع بين تقنيات الضبط والنظام من جهة وتكنولوجيا الانضباط الذاتي للأفراد من جهة أخرى."<sup>1</sup>

وعلى عكس المثال أعلاه، جاء استخدام المراقبة من قبل البريطانيين في فلسطين بين 1919-1948، في وقت كان فيه البريطانيون يستخدمون وسائل عنيفة لمحاربة المقاومة الفلسطينية. ويركز المؤلف على النظام القانوني وكيفية استخدامه لتقويض المقاومة الفلسطينية - وكل ذلك باسم القانون والنظام. وهكذا أصبح النظام التشريعي أداة يتم توظيفها لتمويه النوايا الحقيقية للبريطانيين والذي، كما يبين المؤلف، تم وضعه لتدمير المقاومة الفلسطينية وتيسير الاستعمار الصهيوني لفلسطين. كما أن النظام التشريعي هذا كان هو نفسه الذي احتفظ به الصهاينة ليقوموا باستخدامه بعد عام 1948 لقمع المقاومة الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، أصبح النظام التشريعي أداة لتجريم الأفعال السياسية، كالأنشطة النقابية على سبيل المثال. وفي ورقة أخرى، تم تناول تداعيات الاحتلال الصهيوني لفلسطين، حيث تم نشر أدوات للمراقبة على نطاق واسع في القطاع العربي، سواء في إسرائيل نفسها أو في الأراضي المحتلة.

وأخيراً، اشتمل موضوع المراقبة على ورقة حول الإمبراطورية العثمانية، حيث أصبح استخدام الفضاء العام الهابرماسي والرأي العام في نهاية المطاف، من السمات البارزة للحياة العامة للمواطن في القرنين التاسع عشر والعشرين. جوهر الفضاء العام هو أنه يسمح بالمشاركة الديمقراطية من خلال ما وصفه هابرماس بالعمل الاتصالي الذي يخلو من الاجبار والإكراه. وقد كان الهدف من المراقبة في الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر السماح للحكومة باستغلال الرأي العام والفضاء العام كعنصرين توأمين في جمع المعلومات لأغراض إدارية. بدايةً من أربعينيات القرن التاسع عشر، يشرح المؤلف كيف بدأت الحكومة بمراقبة رعاياها بشكل منهجي، وجمع المعلومات عن هويتهم، والتنصت عليهم في الأماكن الخاصة

1 احمد زايد، "من البصاصة الى الصراع والعنف : البات المراقبة في الدولة المصرية الحديثة " عمران ، العدد 6 ، خريف 2013، ص 13.

والعامة كالأقاهي والمساجد. يتم تمرير مثل هذه المعلومات عادةً في تقارير المراقبة التي يتم رفعها إلى السلطات بما في ذلك الشرطة المحلية والمسؤولين الأعلى حتى يتم تقديمها إلى السلطان ذاته. وهكذا، حدث تحول حاسم في مفهوم أن يكون الفرد مواطناً.

"هنا، يمكن أن يقدم إلينا مفهوم المراقبة فرصة لالتقاط هذه التأثيرات؛ فبوصفها ممارسة حكم في يقد الإمبراطورية العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر، كانت المراقبة أداة لجعل العامة «مفهومة». ولكنها كانت في الوقت نفسه ممارسة تأسيسية للواقع الاجتماعي بتعريف جديد للسياسة والحيز العام. ولا بد من الإشارة إلى أن المراقبة لم تكن ميزة خاصة تميز الحكم العثماني، أو الأنظمة الاستبدادية الأخرى المزعومة؛ الإشارة إلى أن المراقبة لم تكن ميزة خاصة تمي إذ كانت المراقبة على النحو المبين هنا ممارسة شائعة انتهجها العديد من حكومات دول القرن التاسع عشر والقرن العشرين، أكان في أوروبا الغربية أم في آسيا أم في الشرق الأوسط، وأكانت أنظمة تلك الدول ليبرالية أم استبدادية أم شمولية. لقد كانت باختصار، سمة مشتركة للحدثاثة."<sup>1</sup>

### دراسة الحالة الثالثة: العلاقة بين الديموغرافية والديموقراطية في العالم العربي.

ظاهرياً، لا يبدو موضوع الديموغرافيا سياسياً بطبيعته، فبعد كل شيء، الديموغرافيا تنطوي على احصاء وتصنيف الناس. ومع ذلك، وكما أظهر فوكو (Foucault) وآخرون، فإن الإحصاء يفتقد إلى الحيادية عندما تشارك الحكومات فيه. تلعب عوامل العرق والجنس والعمر واللغة وحتى المنطقة الجغرافية، دوراً في إعطاء الديموغرافيا منحاً سياسياً، لا سيما في مناطق متنازع عليها. في الواقع، تم إدخال مفهوم السياسات الحيوية من قبل فوكو لإبراز العلاقة بين علم الأحياء (sociobiology) والسياسة تحت رعاية الحكومات. يوسف كرجاج، وهو ديموغرافي معروف في الشرق الأوسط، لم يتورع عن إدراج الديموغرافيا في العالم الاسلامي في سياق "حوار الحضارات" بين الشرق والغرب. يتساءل كرجاج، في عنوان بحثه الذي نشرته مجلة عمران عام 2013، "هل يمكن للثورة الديموغرافية أن تؤدي إلى ثورة ديمقراطية؟" [عمران، العدد 3، شتاء 2013]. في بداية البحث، يستند كرجاج إلى حجة صامويل هنتنغتون (Samuel Huntington) وآخرين في رفضه للتفسير الأساسي (essentialized explanation) لصراع الحضارات بين الغرب والشرق. وفي عنوان كتابه اللاحق "تقارب الحضارات" يجيب كرجاج عن تساؤله السابق من خلال اختياره لمفهوم "التقارب" (convergence) بدلاً من الاختلاف في التحول الديموغرافي للمجتمعات المسلمة وغير المسلمة. كيف توصل إلى هذا الاستنتاج؟ وهو يعتمد على توقعات الديموغرافيين الآخرين الذين يزعمون أنه عندما تتجاوز نسبة الشباب المتعلمين في المجتمع الـ 50% من السكان، ينبغي على المرء أن يتوقع تغير اجتماعي جذري. بالاستناد

جنكيز كيرلي، "المراقبة وتشكيل الحيز العام في الإمبراطورية العثمانية" عمران، العدد 6 خريف 2013، ص 68. <sup>1</sup>



على فكرة وجود تشابه ديموغرافي تاريخي بين أوروبا والشرق الأوسط المتمثل بنسب انتشار التعليم، أولاً بين الذكور ومن ثم بين الإناث، فإنه وهكذا، في عام 2010، وصلت نسبة معرفة القراءة والكتابة في العالم العربي بين الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين 15-19 سنة بين 80% و 90%. تصل بين النساء إلى نفس النسبة باستثناء السودان واليمن وموريتانيا والمغرب. ترتاد النساء مؤسسات التعليم العالي بنسبة أكبر من الرجال. ارتفع متوسط العمر المتوقع (life expectancy) من 40 عاماً في الخمسينيات إلى 75 عاماً في عام 2010. انخفض معدل الخصوبة من 7.5 إلى أقل من 3 خلال الفترة الانتقالية ليصل إلى المعدل الوسطي الأوروبي في دول مثل إيران (1.8)، لبنان (1.6)، حوالي 2 في المغرب وتركيا وتونس. انخفضت معدلات الزواج بشكل ملحوظ وكذلك معدلات زواج الأقارب (الزواج بين الأقارب endogamy). كل هذه المؤشرات، وفقاً لكرباج، تعكس التقارب بين الغرب والشرق.

في المؤتمر السنوي الذي نظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في مارس 2017 حول موضوع الشباب العربي: الهجرة والمستقبل، أظهر تقرير موجز نشرته مجلة عمران (العدد 6، خريف 2017) النقاط الرئيسية التالية:

1. أعرب 25% عن رغبتهم بالهجرة بشكل دائم من أوطانهم، وإذا ما نظرنا إلى تعريف عمر الشباب من 25 إلى 35، نجد أن نسبة الذين يرغبون في اختيار الهجرة الدائمة ترتفع إلى 35%.
2. باستثناء اللاجئين، تشير التقديرات إلى أنه بين عامي 2000 و 2014، 5 ملايين عربي هجروا من بلدانهم الأم.
3. من المتوقع أن يصل عدد الشباب العربي في عام 2040 إلى 88 مليون، أي بزيادة كبيرة قدرها 20 مليون منذ عام 2005.
4. التحول الديموغرافي يحدث عندما تنخفض أعداد الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة وتلك التي تقل أعمارهم عن 65 عاماً، في حين يزداد عدد الشباب. تتميز هذه الفترة بازدياد عدد الباحثين عن فرص عمل بما يتجاوز قدرة سوق العمل على استيعابهم ما لم يكن هناك تخطيط اقتصادي سليم.
5. يجب أن يشمل التخطيط التنموي أيضاً ضمان الحقوق الاجتماعية والاقتصادية وحقوق المواطنة في مواجهة السياسات التنموية التي يهيمن عليها القادة السلطويون. تقرير ملخص يحذر من ذلك:

"ما لم يترافق الانتقال الديموغرافي مع انتقال ديمقراطي مؤسسي قائم على فهم التنمية بصفتها، ويكون صوته على فهم التنمية بصفتها خيارات وفرصاً، أي حرية يمتلك به الشباب العربي نفسه ويكون صوته مسموعاً. فالشروط التي حكمت اندلاع حركات الاحتجاج والثورات، والتي كانت في معظمها نتاج الانتقال المؤسسي الإصلاحي، لا تزال مستمرة وتعد الهجرة الفعلية والهجرة الاحتمالية في آن من أبرز نتائج هذا التوتر.

6. عند النظر في هجرة المرأة العربية، تشير التقديرات إلى أن 57% من المهاجرين هم من الذكور و 43% من الإناث. ويشير التقرير إلى أن هناك حاجة إلى مزيد من البحوث لدراسة الجوانب الاجتماعية لهجرة النساء العرب، ولا سيما الحالة الاجتماعية والاقتصادية للنساء المهاجرات. بين النساء اللبنانيات، تبلغ معدلات الهجرة 11% (مقارنة بـ 8% للرجال)، في الأردن حوالي 20% من الرجال والنساء يسجلون معدلات الهجرة.
7. تصل نسبة الهجرة بين الأشخاص المؤهلين تأهيلاً علمياً عالياً (رأس المال البشري human capital) إلى النصف مقارنة بالنسبة الاجمالية للذين يرغبون بالهجرة. تسجل الجزائر أعلى معدل هجرة للعاملين من ذوي الكفاءات العليا لتصل إلى 22.3% في العام 2010. من بين جميع المهاجرين ذوي المستوى التعليمي العال، 52% من المغرب، وأوروبا تستوعب 86% من القوى العاملة المغربية ذات المستوى التعليمي الرفيع. أعرب حوالي الثلث من أولئك الذين يرغبون بالهجرة إلى أوروبا عن استعدادهم للقيام بذلك بشكل غير قانوني.
8. من الواضح أنه بينما يتم تحفيز الاتحاد الأوروبي من خلال النظر في الوضع الأمني للدول الأعضاء، فإن الوضع الاقتصادي هو الذي يدفع العرب للهجرة.
9. فلسطين تمثل معضلة في التخطيط السكاني. يهيمن الشباب على الهرم السكاني، حيث يشكل هؤلاء الذين تتراوح أعمارهم بين 0 و 14 سنة 39% من نسبة السكان في حين أن أولئك الذين تزيد أعمارهم عن الستين يشكلون 5% من السكان. أكثر من ثلث أولئك الذين يهاجرون حاصلين على درجة البكالوريوس. اللاجئون الفلسطينيون في لبنان يمثلون حالة خاصة، ارتفاع نسبة البطالة والفقر (28%) وانعدام الحقوق الاقتصادية والسياسية والمدنية تمثل الدافع وراء الهجرة الخارجية على نطاق واسع لدى هذه النسبة.
10. يدعو التقرير إلى إنشاء هيئة تحت رعاية جامعة الدول العربية لتنظيم الهجرة العربية إلى أوروبا والدول الأخرى. كما يدعو التقرير إلى التنسيق مع مؤسسات التعليم العالي التي تستقبل الطلاب العرب المحتملين والباحثين عن مزيد من فرص التعليم.

### (9) الجندر وإنتاج المعرفة

من الحقائق المعروفة، أنّ النساء يتفوقن على الرجال كطالبات من ناحية العدد والتحصيل التعليمي خلال المراحل الابتدائية من الدراسة وحتى ما بعد الثانوية. كما أنّ أعداد النساء اللاتي ينسحبن من الدراسة قبل

إتمام درجة البكالوريوس، أقل منها لدى الرجال. لكن نسب النساء تتراجع بشكل ملحوظ مقابل الرجال، في مراحل الدراسات العليا والدكتوراه.

بحسب مركز اليونسكو للإحصاء، تراجعت نسبة النساء إلى الرجال في فلسطين عام ٢٠١٦ من ٠،٩٨ لحملة درجة البكالوريوس أو ما يعادلها إلى ٠،٠٨ لحملة درجة الدكتوراه أو ما يعادلها. في قطر كذلك، تراجعت نفس النسبة في نفس العام من ٢.٢٨ لدرجة البكالوريوس أو ما يعادلها إلى ١.١٦ لدرجة الدكتوراه أو ما يعادلها. هذا النمط لا يقتصر على الدول العربيّة، فالنتائج في العديد من دول العالم تُبين أن الفجوة بين النساء والرجال تتسع لصالح الرجال في برامج الدكتوراه أو ما يعادلها، في حين أنها في الغالب تكون لصالح النساء عند النظر لجنس الحاصلين على درجة البكالوريوس أو ما يعادلها. في الولايات المتحدة عام ٢٠١٦، تراجعت نسبة النساء إلى الرجال من الحاصلين على درجة البكالوريوس من ١.٠٢ إلى ٠.٦٦ في الدكتوراه<sup>1</sup> تتراجع نسب النساء أكثر فأكثر في أماكن العمل خصوصًا في الجامعات والمعاهد البحثيّة العربيّة. بالنظر إلى المناصب الإداريّة العليا في بعض الجامعات العربيّة نجد أنّ تمثيل النساء فيها ضئيل جدًا إن لم يكن معدومًا في بعض منها.

تؤكد تلك الدراسة التي أجرتها الفنار للإعلام، أنّ نسبة النساء اللاتي يشغلن منصب الرئيس في المعاهد والجامعات العربيّة بلغت أقل من 7 بالمئة، مقارنة بـ 18 بالمئة على مستوى 200 جامعة عالميّة، و 30 بالمئة على مستوى الولايات المتحدة. قامت المنهجية التي اتبعتها الفنار، على حساب أعداد رؤساء الجامعات والمؤسسات الأكاديميّة من كلا الجنسين، الواردة أسماؤهم في قاعدة بيانات التعليم العالي العالميّة (WHED)، بعد التحقق من المعلومات وتحديثها لعام 2018.<sup>2</sup>

بحسب ترتيب فنار سجلت عُمان أعلى نسبة لقيادة المرأة مؤسسات أكاديميّة، بمعدل 13 بالمئة، تليها لبنان وتونس، والسعوديّة التي بلغت نفس النسبة فيها حوالي 11 بالمئة. في حين أنّ هذه الإحصائيات تُظهر تراجع المناصب القياديّة للنساء في المؤسسات الأكاديميّة، فهي لا تشرح سبب ترتيب هذه الأرقام ضمن الدول العربيّة ذاتها. فقد تكون النسب مقلقة أكثر إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن بعض المؤسسات الأكاديميّة في المملكة العربيّة السعوديّة ترأسها نساء بحكم أنها مؤسسات يُمنع فيها الاختلاط بالرجال (مثل على ذلك قد يكون، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن). وقالت الفنار أيضًا أنّ: "لا يوجد في قوانين ترخيص الجامعات أي بنود تحدد جنس الإدارات، لكن غالبية رؤساء الجامعات في المنطقة العربيّة يتم تعيينهم من قبل قيادات سياسية تتمثل في وزير التعليم العالي أو رئيس الوزراء أو حتى رئيس الجمهورية في بعض الحالات كمصر، وليس عن طريق الانتخاب أو وفق سياسة التدرج الوظيفي"

<sup>1</sup> UNESCO Institute for statistics, Gender Parity Indices "Education : Population by minimum completed level of education (cumulative)" Available at: <http://data.uis.unesco.org/Index.aspx?queryid=115&lang=en>

<sup>2</sup> صلاح الدين، إسلام، وعمرو العراقي (2018)، " المرأة العربية مازالت بعيدة عن قيادة المؤسسات الأكاديميّة"، الفنار للإعلام، متوفر على: <https://bit.ly/2Qf6dv1>

السؤال الذي نطرحه هنا، هو لماذا ينتهي الأمر بالنساء في الهيئات الأكاديمية والتدريسية في مراتب أدنى من الرجال غالباً، بالرغم من أنهن يشكلن من ٤٠ إلى ٥٠ بالمئة من مجتمع الطلاب، ما يعني أن هنالك إهدار لقدرات النساء في المستويات التعليمية العليا

الهدف من هذا الجزء من البحث، هو التركيز على مكان النساء العربيات ك رأس مال بشري (human capital) في المستويات العليا في النظام التعليمي. المفهوم الأساسي هنا هو مفهوم النوع الاجتماعي: "يطلق مصطلح النوع الاجتماعي [gender] إلى العلاقات والأدوار الاجتماعية والقيم التي يحددها المجتمع لكل من الجنسين (الرجال والنساء). تتغير هذه الأدوار والعلاقات والقيم وفقاً لتغير المكان والزمان وذلك لتداخلها وتشابكها مع العلاقات الاجتماعية الأخرى مثل الدين، الطبقة الاجتماعية، العرق."<sup>1</sup>

بالتالي، مفهوم النوع الاجتماعي هنا هو مفهوم علائقي. أي يتعلق بالقوة، والحالة، بالإضافة إلى أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية أخرى. نبدأ بלבنا كحالة دراسية أولى، تُبين أنّ عدد النساء في الفنون العقلية (أو الحرّة) هناك يفوق عدد الرجال بفارق كبير (في العلوم الاجتماعية ٦.٤، و٥.٣ في اللغات، و٩.٣ في علم النفس)<sup>2</sup>. ومع أنّ الفقر يؤثر في الرجال والنساء، إلا أنّ تسرب الذكور من المدارس أعلى منه عند الإناث في جميع المراحل ما عدا مرحلة الأول الابتدائي، وهي المرحلة الانتقالية من الدراسة الابتدائية إلى الدراسة الاعداية. في الأعوام ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ بلغ عدد العمداء في تسعة جامعات لبنانية ١١٢ عميداً، منهم ١٠٤ رجال وسبعة نساء<sup>3</sup>

في جامعة بيرزيت في الضفة الغربية بلغت نسبة طلبة الماجستير في تخصصات الحاسوب، والهندسة ٣٠ بالمئة من إجمالي الطلبة في هذه التخصصات.<sup>4</sup> في حين بلغت نسبتهن ٨٧ بالمئة في برنامج دراسات النوع الاجتماعي، و٥٥ بالمئة في القانون والاقتصاد، و ٤٧ بالمئة في برنامج الدراسات الإسرائيلية، و ٧٨ بالمئة في التاريخ الإسلامي والعربي. تمثيل النساء في تخصص الكيمياء التطبيقية وصل ٩٠ بالمئة، و ٨٧ بالمئة في الأحياء البيئية، و ٦٨ بالمئة في الرياضيات، و ٦٣ بالمئة في الفيزياء. في العام الدراسي ٢٠١٨ و ٢٠١٩ كان عدد العميدات النساء في كليات بيرزيت التسع، اثنتين فقط والباقي رجال.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> هاشم، ثريا و منصور، نجاح دليل تدريبي للمدرسين والمدربات على قضايا النوع الاجتماعي في التعليم للعام 2010-2011، بيروت: UNESCO والمركز التربوي للبحوث والانماء، 2012

<sup>2</sup> المصدر أعلاه، جدول 16، صفحة 39.

<sup>3</sup> المصدر أعلاه، جدول 6، صفحة 57.

<sup>4</sup> المصدر: قاعدة بيانات جامعة بيرزيت للعام الدراسي ٢٠١٨- ٢٠١٩

<sup>5</sup> موقع جامعة بيرزيت الإلكتروني: الكليات. متوفر على <https://www.birzeit.edu/ar/study/faculties> : تمت مراجعته في شباط

أما في جامعة الأزهر في غزة، تضم ١٢ كلية بلغ عدد العمداء تسعة جميعهم رجال. القائم بأعمال العميد ومساعد العميد في كلية الطب رجال، ولا يوجد تمثيل للنساء في المناصب العليا لبرامج الجامعة. هناك ١١ امرأة في كلية الطب معظمهن إستشاريات من خارج الجامعة ولسن من الطاقم الرسمي الداخل<sup>1</sup> أما في كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، فالعميد رجل وجميع رؤساء الدوائر التسعة في الكلية كذلك رجال، وعدد النساء في الطاقم الأكاديمي الكلي خمسة من أصل ٥٨<sup>2</sup>. عدد الطاقم الأكاديمي في كلية الاقتصاد والعلوم الإداريّة بالجامعة الكلي ٢٤، ثلاث منهم نساء<sup>3</sup>

أما كلية العلوم فعدد طاقمها الأكاديمي ٥٦ خمسة منهم فقط نساء. ويتأس دوائرها الخمسة جميعهم رجال<sup>4</sup>. لا توجد أي امرأة في طاقم كلية الحقوق البالغ مجموع أعضائه ٩<sup>5</sup>. في طب الأسنان عدد الرجال ١٨ مقابل ٣ نساء<sup>6</sup>. كلية الصيدلة بها ٣ نساء من بين ٢١<sup>7</sup>. كلية الزراعة تضم ١٤ فرد في طاقمها التدريسي جميعهم من الرجال<sup>8</sup>. جامعة القاهرة، أكبر جامعة في العالم العربي، من بين ٢٢ عميد في كليتها هناك ٦ نساء يقطن دوائر التربيّة النوعيّة، والطب، وعلم الحاسوب، والتمريض.

جامعة حمد بن خليفة في قطر بها خمسة كليّات. بحسب قاعدة بيانات الجامعة، العميدة المؤسسة في كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩ امرأة، وعدد النساء الكلي في طاقم التدريس سبعة نساء من أصل ١٤، نصفهم من غير العرب<sup>9</sup>

كلية الهندسة في جامعة قطر يضم طاقمها على الأقل ١٩ من أفراد الطاقم الأكاديمي جميعهم رجال.. أما أقسام المحاسبة وتكنولوجيا المعلومات والإدارة والاقتصاد مجتمعته تضم ١٠٢ رجل في طاقمها الأكاديمي أي ما نسبته ٨٣ بالمئة مقارنة ب ٢١ امرأة (١٧ بالمئة). في أقسام الفيزياء والرياضيات وعلوم الأرض والكيمياء هنالك ٩٠ رجل (٧٤ بالمئة) و ٣١ امرأة (٢٦ بالمئة) في طاقمها الأكاديمي. دائرة اللغويات والتاريخ والجغرافيّة

<sup>1</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الطب، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/med/acastaff.asp> تمت مراجعته في شباط 2019

<sup>2</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الهيئة التدريسيّة. متوفر على :

<http://www.alazhar.edu.ps/arabic/art/acastaff.asp> تمت مراجعته في شباط 2019

<sup>3</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الاقتصاد والعلوم الإداريّة، الهيئة التدريسيّة. متوفر على :

<http://www.alazhar.edu.ps/arabic/art/acastaff.asp> تمت مراجعته في شباط 2019

<sup>4</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية العلوم، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/Sci/acastaff.asp> تمت :

مراجعته في شباط 2019

<sup>5</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الحقوق، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/law/acastaff.asp> تمت :

مراجعته في شباط 2019

<sup>6</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية طب الأسنان، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/den/acastaff.asp> :

تمت مراجعته في شباط 2019

<sup>7</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الصيدلة، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/pha/acastaff.asp> تمت :

مراجعته في شباط 2019

<sup>8</sup> جامعة الأزهر بغزة، كلية الزراعة والبيئة، الهيئة التدريسيّة. متوفر على <http://www.alazhar.edu.ps/arabic/agr/acastaff.asp> :

تمت مراجعته في شباط 2019

<sup>9</sup> جامعة احمد بن خليفة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الهيئة التدريسيّة. متوفر على :

<https://www.hbku.edu.qa/ar/chss/faculty#/filter/1249> تمت مراجعته في شباط 2019

والفلسفة بها ٣٣ امرأة (٢٦ بالمئة) مقارنة بـ ٩٣ رجل (٧٤ بالمئة). أما العلوم الاجتماعية، والعمل المجتمعي، وعلم النفس يتكون طاقمها التدريسي من ٢٥ رجل (٦٠ بالمئة) مقابل ١٦ امرأة (٤٠ بالمئة). مع أن الأرقام في الأعلى تؤكد المكانة المتوقعة للنساء في مجال هام لانتاج المعرفة في العالم العربي، وهي أنهم في الغالب مرؤوسات، إلا أنه هناك تحسن ملموس في حالة النساء بالنسبة للرجال في بعض الحقول. سميرة إسلام، باحثة متمرسة في موضوع التمثيل الجندري في العلوم، لاحظت بأن نسبة الطالبات النساء في السعودية في علم الحاسوب وصلت إلى ٥٩ بالمئة في حين أن نفس النسبة في بريطانيا والولايات المتحدة كانت ١٦ و ١٤ بالمئة على التوالي. تعميم هذه الحقيقة على باقي الدول العربية يتطلب المزيد من البحث. تعزو إسلام أسباب تسلّم النساء مناصب دنيا مقارنة بالرجال إلى التصورات الاجتماعية التي تُحدد أشكال التمييز وأنواع الوظائف، التي يعتبرها أرباب العمل والعامّة، مُلائمة للنساء.

### (10) دور اللغة في التوثيق وجمع المعلومات عبر الفضاء الإلكتروني

لقد تم استكشاف قضية اللغة من قبل مجموعة من الباحثين الدوليين الذين ركزوا على انفتاح وتحرير ويكيبيديا (Wikipedia) في منطقة الشرق الأوسط. في ملخصهم للتقرير، يشير الباحثون الأساسيون إلى "استمرارية عدم التماثل في المعلومات بين منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والكثير من العالم المتقدم"، وإلى أن تحرير وتأليف الموسوعة الحرة يهيمن عليه "الشمال العالمي الذي يعاني من الكثير من العوائق التي تمنعه من الحصول على المعلومات" إلى جانب "ندرة الوصول الحر إلى الوثائق الحكومية [العربية] والتي تقف حائلاً أمام المزيد من النمو في هذا المجال"<sup>1</sup>. على الرغم من زيادة استخدام الإنترنت، إلا أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا محدودة الوجود على مواقع الأنترنت. و على الرغم من الازدياد الملحوظ في شعبية ويكيبيديا العربية منذ تأسيسها في العام 2004 ، إلا أن حجم التناقض في استخدام ويكيبيديا الإنجليزية والعربية لا يزال ضخماً: بمعدل 18 مليار صفحة باللغة الإنجليزية تتم مشاهدتها في الشهر مقارنةً بـ 135 مليون مشاهدة في الشهر لصفحات باللغة العربية. أضف على ذلك، عدد المقالات الصادرة باللغة العربية حول الدول الغربية يفوق عدد المقالات الصادرة باللغة العربية حول الدول العربية – من أربع إلى ست مرات.

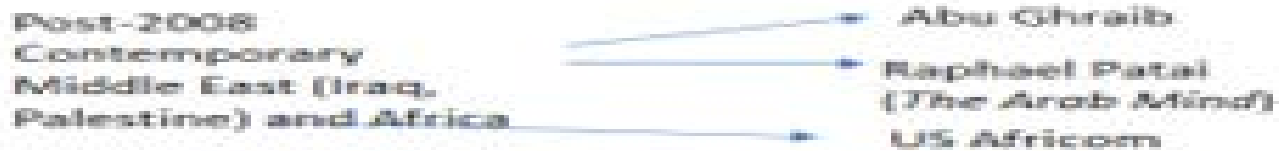
<sup>1</sup> Graham Mark and Bernie Hogan (2013) *Uneven Openness: Barriers to MENA Representation on Wikipedia, A Technical Report*, Oxford University: Oxford, UK.

## (11) أخلاقيات البحث الاجتماعي

لاحظنا في حالة العالم العربي، التدخل الحكومي الضمني والصریح في أبحاث العلوم الاجتماعية. لكن في مراقبة أخلاقيات البحث بشكل عام، هناك بعد آخر أكثر حداثة في ممارسة العلوم الاجتماعية في الدول الغربية. أشير هنا إلى قيام حكومات ديمقراطية في الغرب بتوظيف علماء الاجتماع للقيام ببحوث تطبيقية، معظمها في بلدان أجنبية، تخدم مصالح الحكومات الغربية وتنتهك معايير أخلاقيات البحث. أدرج في الرسم البياني رقم III أدناه بعض الحلقات المشهورة التي تنتهك القواعد الأساسية لأخلاقيات البحوث التي تعود إلى عام 1964 وذلك عندما تم التخطيط لاسم مشروع كاميلوت (Camelot) لمكافحة المقاومة المحليه ضد الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية والتي تم فيها التخلي عن المشروع قبل أن يصبح حقيقة واقعة بعد تلقيه لانتقادات شرسة تتعلق بمنهجيته وكذلك أخلاقياته. اعتمد المشروع الثاني في القائمة، في الرسم البياني على توظيف علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم من علماء الاجتماع لتطوير نماذج لمحاكاة الكمبيوتر بهدف تعزيز حرب الولايات المتحدة ضد التمرد في فيتنام. وكما هو معروف، لم ينجح هذا المشروع في تمكين الولايات المتحدة من إنجاز مهمتها في فيتنام. وفي الآونة الأخيرة، عام 2006، تم إطلاق نظام التضاريس البشرية، وهو مشروع مشترك بين العلوم الاجتماعية والعسكرية، والذي تم التخلي عنه في عام 2014 بعد أن فشل في الوفاء بوعوده لرسم مخطط ناجح لمكافحة التمرد في أفغانستان والعراق. ويوصف هذا المشروع بأنه من أكثر المشاريع البحثية العسكرية مدفوعة التكلفة التي يشارك فيها علماء الاجتماع والذي زادت تكلفته على ثلاثة أرباع مليار الدولارات. لقد تم تصميم هذه المشروعات وغيرها من المشاريع المشابهة لمكافحة التمرد وفك شفرة المصفوفة الثقافية للمجتمعات المعنية، وهو ما يفسر سبب لعب علماء الأنثروبولوجيا وعلم النفس دوراً رئيسياً في تنفيذها. ومن الأهمية بمكان أن الاستشراق، باعتباره من أهم التيارات المثالية الفكرية و الرئيسية الغربية، استند إلى "فك رموز عقول المسلمين" (decode the Moslem and Arab mind) والشرق الأوسط في محاولة لكسب تعاطفهم. وقد أصبح كتاب "العقل العربي" لرافاييل باتاي (Raphael Patai) بمثابة الكتاب المقدس بالنسبة للجنود الأمريكيين الذين يقاتلون المسلمين والعرب في الشرق الأوسط. تلعب إسرائيل دوراً قيادياً في المطالبة بالتسلط الايدلوجي واحتواء الصراع القائم على أساس عرقي حسب تعريفها. لقد استخدمت احتلالها للأراضي الفلسطينية كمثال "ناجح" عن كيفية تهدئة المسلمين والعرب في مناطق أخرى، العراق على سبيل المثال حيث عملت إسرائيل كمستشار للقوات الأمريكية.

Chart III  
اخلاقيات البحث  
امثلة من الولايات المتحدة  
US Examples of  
Counterinsurgency Projects  
1964\_Project Camelot  
(Latin America)

1967 Simulations  
of War Games  
(Vietnam)



The Human Terrain System 2006  
(abandoned in 2014)



## الخاتمة

لا شك في ان ابحاث العلوم الاجتماعية في العالم العربي قد نمت بشكل كبير منذ حصول الدول العربية على استقلالها وتحررها من نير الاستعمار، وشرعت في إنشاء مؤسسات للتعليم العالي. ومع ذلك، لا يزال وضع العلوم الاجتماعية والإنسانية العربية مقارنةً بالعلوم الطبيعية، متراجعاً من حيث عدد الجامعات العربية التي أنشأت كليات للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. وهذا يعود لسبب ذو شقين، أولاً ، الأنظمة العربية الاستبدادية تبدي حذراً من المعرفة التي ليس لها استخدام نفعي مثل الهندسة والطب والفيزياء والرياضيات وعلوم الكمبيوتر على سبيل المثال لا الحصر، أضف إلى ذلك حقيقة أن العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية تميل إلى النظر في الحكومات العربية، وحكومات اخرى في الواقع، من خلال عدسة نقدية. ثانياً، أعطت العولمة شرعية أكبر للغة الإنجليزية بصفتها اللغة المهيمنة في المنشورات العلمية. إن عامل اللغة قد أضر بالعلماء العرب الذين لم يحصل معظمهم على التعليم باللغة الإنجليزية، وزاد من تهميش الباحثين العرب وحرمتهم من التواصل عبر العالم مع علماء آخرين.

عالجنا العلاقة بين الجندر وانتاج المعرفة ، آخذين عينة من الجامعات العربية لهذا الغرض. اوضحنا المكان المتدني للثلاث مقارنة بالذكور في الطاقم الاكاديمي والمناصب الادارية العليا بالجامعات.

حاولت أن أناقش في هذه الورقة، أنه مثل جميع الأنشطة العلمية، يجب رعاية العلم الاجتماعي العربي والحفاظ عليه في مؤسسات مرنة قادرة على دعم البحث عن الحقيقة بطريقة تحمي الفهم الموضوعي للواقع الاجتماعي ومن خلال توظيف الوسائل الكافية، المنهجيات وأدوات التحري اللازمة.

لخصت الدراسة بعض المحاور التي عالجتها دورية عمران للعلوم الاجتماعية بهدف إلقاء الضوء على عملية اقتباس بعض المفاهيم المتداولة في أدب العلوم الاجتماعية المعاصرة مثل العلاقة بين الديموغرافية والديمقراطية، استخدام أنماط مراقبة المواطن من قبل الدول العربية، وعملية إنتاج المعرفة في ظل الاستعمار الذي تعرضت له الدول العربية.

حاولت أيضاً إبراز جهود المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في تبني بانتظام مسوحات الرأي العام بالعالم العربي باستخدام طرق إحصائية في مثل هذه الدراسات لغاية قياس وتفهم تطلعات عينات ممثلة تجاه قضايا تشغل الرأي العام بالمنطقة العربية.

في نهاية الدراسة قدمنا امثلة تشير بوضوح خرق مبادئ ممارسة اخلاقيات منهجية ومعيارية من شأنها الدفاع عن نزاهة وموضوعية بحوث العلوم الاجتماعية. اذا كانت الحكومات العربية تنتهك هذه المبادئ

بصورة مستمرة، فان الدول الغربية، بما فيها اسرائل، استخدمت على نطاق واسع العلوم الاجتماعية والانسانية كاداة لشن حروب كولونيالية واخضاع الدول المستعمرة لضغط سياسي.